معاني الفروسية في الشعر الجاهلي





معاني الفروسية
في الشعر الجاهلي

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2015/8/4146)

رشيد، دياري محمد

معاني الفروسية في الشعر الجاهلي / دياري محمد رشيد .-
عمان:- دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠١٥

( ) ص

ر.أ: (2015/8/4146).

الواصفات:/ الشعر العربي//العصر الجاهلي /

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 978-9957-96-176-3



تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس : 5353402 6 962+
خلــوي : 95667143 7 962+
ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com

معاني الفروسية في الشعر الجاهلي

ديارى محمد عطا رشيد

الطبعة الأولى

2016 م – 1437 هـ

اهداء

إلى: -

- أبي وأمي، اللذان ضحيا بكل غالٍ ونفيس من أجل وصولي إلى هذه المرحلة، فلولا تشجيعهما لي لما وصلت، "ربِ أرحمهما كما ربياني صغيراً".

- إخواني وأخواتي، الذين يسيرون معي في غمي وفي سروري.

- أساتذتي، الذين علّموني اللغة العربية وعن طريقهم رأيت النور.

أُهدي ثمرة جهدي المتواضع محبةً وإعتزازاً إليهم.

شكري وتقديري إلى:-

1- الدكتور (محمد صابر عبيد)، الذي ساعدني كثيراً في طبع هذا الكتاب.

2- الدكتور (عمر أبراهيم توفيق).

3- المحامي (هه زي شوان محي الدين).

الفهرس

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يعد الشعر الجاهلي الركيزة الأساسية لكل من يريد أن يقتحم ميدان دراسة الادب العربي في عصوره المختلفة والمتلاحقة، فعد بحق (ديوان العرب) وسجل مفاخرهم ومآثرهم، نظراً لان الشاعر الجاهلي حريص كل الحرص على ذكر الحقائق كما هي في مختلف علاقاتها ومعانيها، وتمثل مرحلة الصفاء والنقاء في الرؤى والافكار، وهوذات لغة أقرب إلى الفطرة الانسانية.

وكان دافعي لدراسة الشعر الجاهلي، هوأن الادب العربي ينبع من الادب الجاهلي، ويمثل الجذور الراسخة والاصول الثابتة لمسيرة الشعر العربي، فالجذور هي التى أنبتت الفروع العالية من السماء، والادب العربي مدين في جوهره للادب الجاهلي، وفكر الشاعر العربي وثقافته في أي عصر من العصور لا يمكن أن تتضح اتضاحاً معقولاً الا اذا رجعنا إلى ثقافة الشعر الجاهلي.

وحين بدأت بجمع مادة بحثي هذا، وقد سبقني إليه الكثير من الباحثين، حتى خيل إلي أنهم أشبعوه دراسة وتمحيصاً، فوجدت نفسي ملزمة بتجنب تكرار ما سبق أن قاله غيري من الباحثين، وكانت مساعدة أستاذي خير عون لي في هذا الجانب، فقد هدتني إلى رؤية محددة لتناول هذا الموضوع، أتمنى أن ينال القبول والرضا.

وقد أعتمد في بحثي هذا على إستقصاء القصائد التي تلون فيها المعاني السامية للشعر الفروسي في دواوين الشعراء، ودواوين الحماسة، وأخذت الموثوق من الشعر الجاهلي وإستقرائه وتحليله، وإستعنت بالشروحات الموجودة في مناهج المعرفة المختلفة للوصول إلى تحديد واضح لمعاني الفروسية عند العرب في الشعر الجاهلي.

وبدأت بحثي بمقدمة قصيرة عن مكانة الفروسية عند العرب التي إقترنت بالبطولة و شيم الأصيلة و الأخلاق الرفيعة و إتسمت بالخصال الحميدة و المزايا الكريمة و عزة

النفس و إباء و الشموخ و النخوة، و نجد معظم فرسان العرب شعراء مجـدين و متميـزين، حيث أن الجزيرة العربية منشأ الفروسـية و مهـدها الأول، و قـد فخـرت القبائـل العربيـة بفرسانها و كثرة الفرسان في القبيلة دلالة على عظمتها و قوتها، فكانت من أسـباب القـوة و الإنتصار على الأعداء، و طبيعة الحياة القاسية جعلت العـرب مرتبطـاً بـالفرس إرتباطـاً وثيقاً.

ثم أقتضت ضرورة المنهج إلى أن أقـسم بحثـي إلى ثلاثـة فـصول، حيـث ذكـرت في الفصل الأول الحياة الإجتماعية في العصر الجاهلي و تكلمتُ عـن معنـى كلمـة الجاهليـة الـتي إختلف المفسرون في المراد لهذه الكلمة، و وصلت إلى أنهـا تعـني الجهـل التوحيـدي الديني لا الجهل بعلمٍ من العلوم، فكان العرب قبل الإسلام غارقين في الفوضى و الجهالـة لا عمل لهـم إلا الغـزو و النهـب و الحـرب في باديـة الحجـاز و الـشام و النجـد، فكـانوا يقدسون الغزو و أصبح وسـيلة مـن وسـائل حيـاتهم اليوميـة، و كانـت لطبيعـة الجفـاف الغالبة على جزيرة العرب أثرها في الحياة اليومية عند العرب، و حيـاتهم في الباديـة كانـت في غاية البساطة، و ساذجة إلى أقصى حد من السذاجة.

و تكلمت عن القيم الخلقية التي حرص عليها العربي و تغنـى بهـا و هـي منثـورة في أشعاره، و تكلمت عـن الأدوات الفروسـية مـن خيـل و أسـلحة يـستخدمها الفـارس في حروبه ضد أعدائه، فكـان العـرب في الجاهليـة لا يريـد أن يـدخر شـيئاً سـوى الفـرس و سلاح الحرب فقط، و إعتادوا على إستخدام السلاح بأنواعها المختلفة من سـيف و رمـح و سهم و قوس مبرزين بطولاتهم، و كان قوتهم الجـسدية و سـلاحهم الـذي يحـارب بـه عماداً لهم في حروبهم.

وكان شبه الجزيرة العربية في الجاهلية يـشبه سـاحة حربيـة كـبيرة، تقاتـل العـشائر و القبائل فيما بينها، فقد أصبح الحرب و القتال و النـزال فريـضة الحيـاة في الجاهليـة وكـان لكل قبيلة فرسانها و هؤلاء الفرسان يدافعون عن قبائلهم و يقودون قبائلـهم إلى الغـزو و الغنائم و يقفون بالمرصاد لكل عدوٍ متربـص بهـا، و تفتخـر القبيلـة بهـم و يتغنـى شـعراء ببطولاتهم و بقوتهم البدنية، و كان أوقع كلام عندهم هو ما صدر عن شاعر فارس.

و كانت القبائل إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل الأخرى فهنئتها و صنعت الأطعمة و تفرح بها فكان دور الشاعر في القبيلة العربية مهم جداً لأنه أشبه ما يكون بجهاز إعلامي ضخم في ذلك الوقت، يذيع بطولات القوم و بسالتهم في الحروب و ذودهم عن مقدساتهم.

و ذكرت في الفصل الثاني، مفاهيم متداولة لمعاني الفروسية المرتبطة بالصفات النبيلة و الخصال الحميدة التي يصف بها الفارس العربي المدافع عن أفراد قبيلته و يتلخص بالبطولة في الحرب و الشجاعة عند الشدائد و الكرم و تلبية دعوة المستغيث التي يصف بها الفارس العربي المدافع عن أفراد قبيلته، و الشعراء يتناولون هذه المعاني بأساليبهم الخاصة وبنظراتهم المختلفة في قصائدهم.

فالبطولة إحتلت رقعة واسعة من الشعر الجاهلي، و إهتم به الشاعر العربي إهتماماً كبيراً، و كان الحروب الكثيرة التي خاضها العرب مسرحاً لبطولات الفرسان و إمتحاناً لمواهبهم و كان له الأثر الفعال في تدريب الفرسان و تقوية سواعدهم، و وصلتُ الى أن البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام هي عبارة عن مجموعة من الصفات و الخصائص الإيجابية لدى الإنسان العربي، فالبطل هو رمز الكمال الإنساني المناقض لرموز الإنحطاط و الضياع، إنه الإنسان الحقيقي الذي يمتلك صفات الشجاعة و الكرم و الحكم و رجاحة العقل و الإخلاص و الوفاء و المروءة و السيادة.

ومن مظاهر الشجاعة التي يفخر بها الفارس العربي بأنه لا ينازل إلا بطلاً من صنوه، و نجدة من يستغيث به من عشيرته و قومه، و الإغارة صباحاً و مساءً حتى يبقى القلق هاجساً مستديماً في وجه الأعداء و الحث على الثبات و النهي عن الإحجام و التفكير في العواقب، و إذا وقع بين قبيلتين دم فبعضهم لا يكتفي بدم القاتل أو الدية، بل يقتلون به عدداً من ذوي القاتل، فكانوا يهابون من الإلتحام بالجيوش النظامية، و كان العرب في الجاهلية يعتبرون الموت في الفراش من الجبن، و يصفون الشجاع البطل بأنه يموت كريماً في الحرب.

و الكرم مظهر من مظاهر المروءة للشعراء الفرسان فبالكرم أزالوا الكرب و كشفوا الغم عن الفقراء سيئي الحال، و كان لضروف حياتهم القاسية أثر كبير في إنتشار الكرم عندهم.

ثم تكلمت في الفصل الثالث عن الخصائص الفنية لشعر الفروسية، و هو شعر كامل الصياغة من حيث الألفاظ الفصيحة البعيدة عن أي تأثير أو أي لحن عامي، فالشعر الفروسي يعد المصدر الأول من الناحية الزمنية لدراسة اللغة العربية، فجاءة صوره جميلة، بألفاظ سهلة مكتملة الصياغة تام تراكيب ليس فبها إطالة أو إطناب، و كانوا صادقين في تجربتهم، أصلاء في معاناتهم.

فالشاعر لم يستخدم الألفاظ الصعبة على الفهم، أو الألفاظ الغريبة وكانوا يربطون بين القوة اللفظية و القوة الجسدية حتى يكتمل المعنى و يجذب السامعين، و كانوا يحاولون أن يستخدموا الألفاظ ذات الجرس المميز و يشددون على رنين الكلمات، و المعاني الشعرية جاءت واضحة و بسيطة، لأنها عالجت الحياة البعيدة عن الحضارة، ثم تكلمت عن الخصائص الاسلوبية و البلاغية لشعر الفروسية، يتميز ببعده عن التكلف، و بوضوح معانيه، و بصدق التعبير و حرارة العاطفة و البساطة و العفوية، وكان أغلب قصائدهم مقطوعات قصيرة، و ذلك يعود الى طبيعة الظروف التى نشأ في ظلها هذا الشعر، و كانوا يلمحون بالجزئيات أكثر من الكليات، ولم يتركوا جانباً من جوانب التعبير الفني و التصوير البياني و البديعي الا طرقوه و أفادوا منه، سواء كان ذلك بأستعمال وسائل التحسين البيانية المعنوية، أو المحسنات البديعية اللفظية.

و في الخاتمة ، وصلتُ إلى مجموعة من النتائج، والتوصيات المهمة، فذكرتها حتى تُستفاد منها في الدراسات اللاحقة عن الشعر الجاهلي.

وقد واجهني مشاكل عديدة خلال اعدادي لهذا البحث ومن أهمها هي عدم توفر بعض المصادر المتعلقة بموضوع بحثي داخل مكتبات الموجودة في أقليم كردستان، مع أن بعض المكتبات ومنهم مكتبة الاوقاف المركزية في السليمانية ساعدوني كثيرا ولهذا أقدم لهم شكري الجزيل للمساعدة وجازاهم الله خير جزاء ووفقهم الله في عملهم.

والله الموفق والهادي الي سواء السبيل

التمهيد

((مكانة الفروسية عند العرب))

إحتلت الفروسية مكانة عالية عند العرب منذ أقدم الأزمان، حيث إقترنت بالبطولة والشيم الأصيلة والأخلاق الرفيعة، وإتسمت بالخصال الحميدة، والمزايا الكريمة، وعزة النفس، والإباء، والشموخ، والنخوة، والفارس العربي سمح السجايا سهل المعشر، لا يبغي على غيره لكنه لا يحتمل الظلم والبغي ولا يستكين ومن سمات الفرسان، حب الشعر ونظمه، حيث نجد معظم فرسان العرب شعراء مجدين ومتميزين، وتعد الجزيرة العربية منشأ الفروسية ومهدها الأول وهي تنسجم مع طبيعة البيئة الصحراوية وطبيعة الحياة فيها، حيث أن القبائل العربية كانت تنتقل من مكانٍ إلى آخر طلباً للكلأ والمرعى، وكان لكل قبيلة مجال للتنقل، والقبيلة الأقوى كانت تحتل الأماكن التي تتوفر فيها المياه والمراعي، وأدى التنازع بين القبائل إلى حروب طويلة ومن خلفها تتأجج نيران الثأر.

فالفروسية الجاهلية "ليس نظاماً معيناً يفرض على أتباعه سلوكاً خاصاً، وهي ليس فروسية عسكرية، يتلقى فيها الفارس دروساً معينة ويدخل تدريبات مرسومة ليخرج منها فارساً يحمل شهادة تخوله الإنخراط في صفوف هؤلاء الفرسان، إنما هي مظهر من مظاهر الحياة نشأ عن عوامل إجتماعية وأخلاقية وحربية، وتطور وفق أساليب معينة، وقد ساعدت على تطورهذا النظام، فطرة عربية سليمة، وجدت في قيم المجتمع الجاهلي"[(1)].

ويقول (بطرس البستاني) [(2)] عن الفروسية العربية في جاهليتها، " لم تكن مؤسسة دينية ولا إجتماعية وإنما كانت فضيلة خلقية تنتمي إلى الأفراد لا إلى الجماعات"

وفي الحروب يقف الشاعر الفارس متغنياً ببطولات قومه وشجاعتهم، متغنياً ببطولته هوإن كان ممن يخوضون غمرات القتال، ويسهب في وصف المعارك وتساقط

---

(1) الفروسية في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي: 10.

(2) الشعراء الفرسان، بطرس البستاني:224.

القتلى من الأعداء، ولا ينسى مَن سقط مِن فرسان قومه في حومة الوغى، فيرثه رثاءً هوأقرب إلى الفخر منه إلى الرثاء، متغنياً بشاعته وبسالته ومناقبهِ الأخرى.

وقد فخرت القبائل العربية بفرسانها، "وكثرة الفرسان في القبيلة دلالة على عظمتها وقوتها نظراً لغلاء ثمن الفرس، ولأهميته في تطوير الحرب وتوجيهها وإنهائها في صالح من له أكبر عدد من الفرسان"[1].

يقول المزرد بن ضرار الذبياني[2]:-

خروج أضاميمٍ وأحصَنُ معقلٍ　　إذا لم تكن إلا الجيادَ معاقلُ

و" الكارثة تحل بالقبيلة العربية حين يقتل منها فارس، لأنه إنهيار لبنائها الحربي، ودمار لسلطانها الإجتماعي"[3]

فخلود الفرسان أوبقاء ذكره الطيب في القوم حتى بعد الموت، مرتبطاً بألتزامه الفعلي بالمروءة في مختلف مواقف حياته المتصلة بالآخرين والمجتمع، فهوصادق كقول (عدي بن زيد) [4]:-

وقُل المعروف فيمَنْ قالَه　　وأمتَحن نفسك من قيل العَندِ

وهوحازم عند الضرورة، قال (زهير بن أبى سلمى) [5]:-

(1) تأريخ العرب قبل الاسلام، د.جواد على: 5/ 387.

(2) المفضليات، للمفضل الضبي: 95.

(2)بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، للآلوسي: (2/ 104).

(3) ديوان الحماسة للبحتري: 63.

(4) وهوزهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني من مزنية بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، توفى حوالي (14ق.هـ)، ديوانه: 37.

(5) وهوأمرؤ القيس بن بحجر بن الحارث بن عمروبن حجرا آكل المرار بن عمروبن معاوية بن ثور بن مرتع، توفى حوالي (80ق.هـ) ديوانه: 54.

وذاك أحزمهم رأياً إذا نبأٌ   من الحوادث غادي الناسَ أوطَرَقا

ومن الأولى خلال الفروسية، أن يكون الفارس بارعاً في ركوب الخيل، حاذقاً أمورها وأحوالها، فقد إهتم العرب ومنذ القدم بتربية الخيول لسرعتها في الطراد والإغارة وترويضها للحروب، وفي الصيد كانت تستخدم في مطاردة الغزلان والبقر الوحشي، فكان مصدراً من مصادر الغذاء لديهم.

وفي الشعر الجاهلي وصف للخيول الأصائل، فلم يتركوا عضواً من أعضائها إلا وصفوه، كما نجده عند (إمرؤ القيس) [(1)]، فكان كثيراً ما يخرج للصيد قبل أن تنهض الطيور من أعشاشها، ويصف فرسه الأشقر بأنه عظيم الألواح والجسم وسريع العدوفي إقباله وفي إدباره، وهومقبل إذا أريد منه الإقبال ومدبرُ إذا أريد منه الإدبار، وشبه سرعته وصلابته بصخرة كبيرة إن ألقاها السيل من مكانٍ عالٍ إلى منحدر وعلى ظهره ينزلق الغلام الخفيف ويرمي بثياب الفارس الحاذق بفروسيته لشدة عدوهِ وجريهِ، فهويقول في معلقتِهِ:-

وقد أغتدي والطير في وكناتها   بمنجرد قيد الأوابد هيكلِ

مكر، مفر، مقبل، مدبر، معاً   كجلمود صخر حطه السيل من علِ

يزل الغلام الخف عن صهواته   ويلوي بأثواب العنيف المثقلِ

فمن هنا نعلم " أن الفروسية عندهم تقتضي إستعداداً خاصاً للحرب في لبس الثياب والنعال، والتخفف من الأثقال، وإثار الخشونة على النعومة" [(2)]

فالفارس يجيعُ عياله، ولا يجيعُ فرسه، وقد عبر عن ذلك (عبيدة بن ربيعة) [(3)] في قوله:

أبيت اللعن أن (سكاب) علق   نفيس لا يعار، ولا يباع

مغداة مكرمة علينا   يجاع لها العيال ولا تجاع

---

(2) الشعراء الفرسان: 225.

(3) بلوغ الإرب، 2/ 104.

إن طبيعة الحياة القاسية جعلت العربي يرتبط بالفرس إرتباطاً وثيقاً " لأنها عنوان بارز في حياته الصعبة، فهوأنيسه في المغامرة، وصاحبه في السرا، ورفيقه في الحل والترحال، وقد لمس العربي تلك الصداقة في أشد محنه، وتذوقها في أحرج ساعاته، وعرفها في إلتماع الأسنة، وتحت ظلال السيوف، يبثه شكواه ويقاسمه أحزانه"[1].

ويتضح لنا بأن منزلة الشاعر الجاهلي ولا سيما الشاعر الفارس كانت كبيرة، " فإن عصبية القبلية تقضي على كل فرد أن يدافع عن قبيلته بما في وسعه، ولهذا إتجهت مهمة الشاعر إلى الفخر بقبيلته والإشادة بأيامها وإنتصاراتها، والطعن على أعدائها، ويتسع عليه مجال الفخر والحماسة إذا كان من السادات والفرسان"[2]، فجاء الشعر الحماسي في العصر الجاهلي بأصدق تمثيل للحياة البدووتقاليدهم وعاداتهم.

(1) الطبيعة في الشعر الجاهلي، د.نوري حمودي القيسي: 279.

(2) الشعراء الفرسان: 45.

"الفصل الأول"

المبحث الأول

الحياة الإجتماعية في العصر الجاهلي

كلمة الجاهلية

ظهر كلمة الجاهلية بظهور الإسلام، وهي إصطلاحٌ مستحدث، وقد أطلق على حال العرب قبل الإسلام، للتفريق والتميز عن الحالة التي صار عليها العرب بعد ظهور الإسلام.

وفهمها آخرون أنها من " الجهل بالله وبرسولِهِ وبشرائع الدين وباتباع الوثنية والتعبد لغير الله، وذهب آخرون إلى أنها من المفاخرة بالأنساب والتباهي بالأحساب والكبر والتجبر وغير ذلك، من الخلال التي كانت من أبرز صفات الجاهلين"[1].

" وقد وردت لفظة (الجاهلية)، في القرآن الكريم[2]، وردت في السور المدنية، دون السور المكية، فدل ذلك على أن ظهورها كان بعد هجرة الرسول إلى المدينة، وأنَّ إطلاقها بهذا المعنى كان بعد الهجرة، وإن المسلمين أستعملوها منذ هذا العهد فما بعده"[3].

كما وردت كلمة (الجاهلية) في قول عمروبن كلثوم[4] حيث يقول:-

ألا يَجْهَلَـنْ أَحَـدٌ عَلَيْنـا ... فَنَجْهَـلُ فَـوْقَ جَهْـلِ الجاهَلِينـا

---

(1) أساس البلاغة، للزمخشري: 1/ 145.

(2) قال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ (آل عمران: 154).

قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ (المائدة:50).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ (الأحزاب: 33).

قال تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (الفتح: 26) وقد ورد في (17). موضعاً.

(3) تأريخ العرب قبل الإسلام: 1/ 38 .

(4) شرح المعلقات السبع، للزوزني: 186.

أي، لا يسفه أحد علينا، فنسفه عليهم ، أي لجازيهم جزاء يربي عليهِ.

وقد إختلف المفسرون في مراد كلمة (الجاهلية الأولى) في قولِهِ تعالى:- " وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى"[1].

فقيل: (الجاهلية الأولى التي ولد فيها إبراهيم، والجاهلية الأخرى التي ولد فيها محمد) [2] وقيل: (الجاهلية الأولى بين عيسى ومحمد) [3]

وبرأي أن كلمة (الجاهلية) في هذه الآيات تعني المرحلة السابقة لظهور الإسلام، ويراد بالجهل هنا كما يفسرهُ أغلب المفسرين الجهل التوحيدي الديني لا الجهل بعلمٍ من العلوم.

وإختلف العلماء في تحديد العصر الجاهلي، فذهب بعضهم إلى " أنّ الجاهلية كانت فيما بين نوحٍ وإدريس"[4]، وذهب آخرون إلى أنها " كانت بين آدم ونوح، أوأنها بين موسى وعيسى، أوالفترة التي كانت مابين عيسى ومحمد"[5].

وذهب بعض الآخر إلى " أنَّ هذهِ اللفظة أطلقت في الإسلام على الزمن الذي كان قبل البعثة"[6].

ويذكر بأن أصحاب الرسول (ص) كانوا يعنون بالجاهلية " الزمان الذي عاشوا فيهِ قبل الإسلام، وقبل نزول الوحي، فكانوا يسألون الرسول (ص) عن أحكامها، وعن موقفهم منها بعد إسلامهم"[7].

وهذا يدل على أن لفظة (الجاهلية) ذات معنى خاص في عهد الرسول الكريم (ص).

---

(1) الأحزاب: 33.

(2) طبقات إبن سعد: 8/ 143.

(3) بلوغ الإرب: 1/ 17.

(4) تفسيرالطبري: 1/ 83 .

(5) بلوغ الإرب: 1/ 16.

(6) المصدر نفسه: 1/ 16.

(7) صحيح البخاري: 1/ 79.

ويرجع العرب إلى الشعوب السامية، ووطن الساميين الأول هو(جزيرة العـرب)[1] ومنه هاجروا إلى الأماكن المعروفة التي أستقروا فيهـا، ولا يوجد بين أشباه الجزر شبه جزيرة تشبه على جزيرة العرب في المساحة فهي أكبر شبه جزيرة في العـالم، ويسمى بـ (شبه الجزيرة) لأن المياه تحيط بها من أطرافها الثلاثة، ومع ذلك "لم يستطع الجـوالبحري أن يخفف من حدة الحرارة فيهـا، ويتغلـب علـى جفافهـا، والأبخرة متصاعدة من البحـر لا تتمكن أن تصل إلى أواسط بلاد العرب، لإنزال رحمتها عليها، فإن الرياح السمائم، وهـي ذات الحّر الشديد النافذ في المسام، تتلقى الرطوبـة الـتي تنبعـث مـن البحـار بوجـه كـالحٍ عبوس، ومقاومة تبسلها قوتها، وتنتزع الرطوبة منها، وتمنعها في الغالـب مـن الوصـول إلى أواسط الجزيرة"[2].

وتبلغ مساحتها " ثلاثة ملايين كيلومتر مربـع، وهـي بـلاد أكثرهـا صـحاري، وأهـم أقسامها (اليمن وحضرموت والحجاز)"[3].

والمجتمع العربي يتكون من: بَدْو،وحَضَرْ، أهل وَبْر، وأهـل مَـدَرْ، يتساوى في هـذهِ الحالة، عرب جميع أنحاء جزيرة العرب الآخرى.

ويعرف الحضر[4]، وهـم العرب المستقرون بـ (أهل المـدر)، عرفـوا بـذلك لأن أبنيـة الحضر إنما هي بالمدر، والمدر: قطع الطين اليابس، قال (عامر للنبي(ص): لنـا الـوبر ولكـم المدر)، فعنى بـه المـدن أوالحـضر، ومـن هنـا قيـل للحـضر: بنومـدراء، وورد في حـديث (الجّساسة والدجال): تبعه أهل الحجر وأهل المدر، يريـد أهـل البـوادي اللـذين يـسكنون مواضع الأحجار والرمال، وأهل المدر، أهل البادية، و" ورد أن أهـل الباديـة إنمـا قيـل لهـم (أهل الوبر)، لأن لهم أجنية الوبر، تمييزاً لهم عن أهل الحضر الـذين لهـم مبـانٍ مـن المـدر،

---

(1) صفة جزيرة العرب، حسن بن أحمد الهمداني: 84.

(2) تأريخ العرب قبل الإسلام: 1/ 140.

(3)صفة جزيرة العرب: 84.

(4)لسان العرب، لابن منظور: مادة (مدر، حجر).

ومن هنا قيل للقرية (المدرة)، لأنها مبنية بالطين واللبن، وذكر أن (المدرة) القرية والمدينة الضخمة أيضاً، لأن المدن تبنى بالمدرِ أيضاً، ومن هنا قيل للحضر عموماً: بنومدراء[1].

والحد الفاصل بين الحضارة والبداوة، "هوطراز الحياة ونوعها، فالحضر أهل قرار، والأعراب ينتجعون ويتتبعون مساقط الغيث يرعون الكلأ والعشب إذا أعشبت البلاد، ويشربون (الكرع) وهوماء السماء، فلا يزالون في النجع إلى أن يهيج العشب من عام قابل وتنش الغدران، فيرجعون إلى محاضرهم على إعداد المياه"[2].

والحضر كانوا يعيشون على زراعة الأراضي المقيمين عليها، أوعلى الحرف اليدوية أوعلى التجارة ونحوها، ومن طبيعتهم الإستقرار في أرضٍ تكون وطناً ثابتاً لهم، يجعلونها مقاماً لهم يقيمون فيهِ فيحبونهُ ويموتون في سبيلِهِ، أما أهل الوبر، فهم رُحَّلٌ، يتنقلون طلباً للماءِ والكلأ، فموطنهم متنقل وقلق غير مستقر، فالأرض كلها وطنهم، وإذا أرتحلوا من مكانٍ إلى آخر، صارت الأرض الجديدة وطناً لهم، أما الأرض القديمة فتكون وطناً لمن يحل فيها، وكثيراً ما تنشب المنازعات بينهم.

ولأن طبيعة الجفاف هي الغالبة على جزيرة العرب، كان لهذهِ الطبيعة أثرها المبين في حياة العرب، فغلبت البداوة على الإستقرار، وعلى رأي بطرس البستاني[3] فالبدوي من غريزتِهِ أناني فردي شديد التعلق بذاتِهِ، شديد الشعور بشخصيتِهِ، وكان إن وُجِدَ في صحراء لا يصلح معظمها للعمران وبناء الحضارات،

فإقتصر في مجتمعِهِ على قبيلتِهِ الصغيرة بدلاً من أن يؤلف أمة، وإقتصر في وطنه على خيام ينصبها، بجانب الماء والعشب، فإذا جف مرعاه إقتلعها وترحل ينتجع بقعة غيرها، وهوفي خلال أقامتِهِ وترحالِهِ يغزوا القبائل الآمنة، ويقطع السبل ويسلب، أويغزى في عقر دارِهِ، وتقطع عليهِ السبل ويؤخذ ما عندهُ.

---

(1)تاج العروس، للزبيدي: 3/ 146.

(2)المصدر نفسه: 5/ 519.

(3)الشعراء الفرسان: 9.

وكان عماد حياتهم في البادية (الإبل) ولولا هذا الحيوان الصبور لما تمكن الأعرابي أن يقهر البوادي، وأن يوسع تنقلَهُ في أنحائها، وإن يعيش في هذه الأرضين المقفرة الشحيحة التي يشح فيها سقوط المطر، ويضطر الإنسان فيها إلى ضرب الأرض بأرجل جَمَلِهِ بحثاً عن الكلأ والماء، ولهذا صار هذا الحيوان رأس المال الوحيد الذي يملكه الأعراب، به يقدر الأسعار وبه يقدر ثراء الأنسان.

وكانت العوامل الطبيعية والظروف القاهرة هي التي دفع بالعربي أن يكونوا وحدات إجتماعية، "يطلق على كل واحدة منها إسم قبيلة، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطون تجمع الأفخاذ، والأفخاذ تجمع الفصائل"[1] وتقيم كل من هذه الوحدات كياناً خاصاً تعتزبه.

ووصف الأعرابي " بالجهل، بل بالجهل المطبق، فهووثني ولكنه لا يفهم شيئاً من أمور الوثنية، وهونصراني، لكنَهُ نصرانيٌ بالإسم لايعرف عن النصرانية في الغالب شيئاً، وهومسلم ولكنَهُ لايعرف عن الأسلام إلا الإسم"[2].

قال تعإلى:﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[3].

وهوحقود غير مسامح، لايرى أن يغفر ذنب من أساء إليهِ، بل يظل في نفسِهِ حاقداً عليهِ حتى يأخذ بثأرهِ منهُ، (قيل لأعرابي: أيسرك أن تدخل الجنة ولا تسيئ إلى من أساء إليك؟ فقال: بل يسرني أن أدرك الثأر وأدخل النار)[4].

والأعراب أهل منة، إذا فعلوا معروفاً بقوا يتحدثون عنهُ، ويمنون بصنعِهِ على من قدموهُ لَهُ، وهم يريدون منهُ صنع أضعاف ما صنعوهُ لَهُ وهم خشنون إذا تكلموا رفعوا أصواتهم وقد وبخهم القرآن وأنبئهم لفعلهم هذا، فجاء فيهِ: " يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا

(1) العمدة، لابن الشرق: 2/ 182.

(2) تأريخ العرب قبل الإسلام: 4/ 293.

(3) التوبة: 97.

(4) نهاية الأرب في فنون الادب، للنويري: 6 / 67.

أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهدوا لَهُ بالقولِ كجهر بعضكم لبعض، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون، إن اللذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين أمتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم[1].

وأمر الله تعالى المسلمين بالتأدب بأدب الإسلام.

فقال تعالى: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[2].

ولم يكن يعرف الأعرابي شيئاً غير القوة ولا يخضع إلا لسلطانها، وعلى هذا بنى أصول الحق والعدل، وما يتبعها من حقوق، فهوفخورٌ بنفسهِ وبشجاعتِهِ، ولكنه لايصبر إذا طال القتال، ولا يتحمل الوقوف طويلاً في ساحة المعركة، ولا سيما إذا شعر أن عدُّوهُ أقوى منه بقليل، وإذا رأى بأن أسلحة خصمِهِ أقوى في القتال من أسلحتِهِ، فيتولى عندئذٍ إلى الرجوع من ساحة المعركة، ولا يرى في هروبِهِ هذا عيباً، وفي تأريخ معارك الجاهلية ولا سيما معاركهم مع الأعاجم أمثلة عديدة، ولذلك قيل الحربُ كرٌ وفرٌ.

يتحدث تأبط شراً[3] في قصيدةٍ له عن قراره وتركِهِ رفيقاً له بأنهُ ما كان ليستطيع أن ينتظر حتى يدهُمهُ مطاردوهُ الذين كانوا وراءهُ كأنهم النحل ولا أن يبطيء في عدوهِ حتى تصيبهُ السهام التي كانوا يرسلونها خلفَهُ، وهولهذا يثني جسدهُ، ويسرع بعيداً عن الشر كأنهُ الظليم المذعور:-

ولَمْ أنْتَظِرْ أنْ يَدْهَمُونِي كَأَنَّهُمْ	ورائِي نَحْلٌ في الخَلِيَّةِ واكِنا
ولا أنْ تُصيبَ النافِذاتُ مقاتِلي	ولَمْ أكُ بالشَدِ الذَّلِيقِ مُدَانِيا
فَأَرْسَلْتُ مثنياً عَنِ الشَّرِّ عاطِفاً	وقُلْتُ تَزَحْزَحْ لا تَكُونَنَ خائِناً

(1)الحجرات: 2 وما بعدها.

(2)لقمان: 19.

(3) (تأبط شرا) هوثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل بن عدي بن كعب بن حزن من بني فهم القيسيين المضريين، توفي حوالي(530م)،: 73.

وحَثْحَثْتُ مَشْعُوفَ النَّجاءِكأنَّني هِجَفٌ رأى قَصْراً سمالا ورَاحِنا

فَزَحْزَحْتُ عَنهُم أوتجئني مَنيتي بَغِرْاءَ أوعَرْفاءَ تَغْدُوالدَّفائِنا

كَأنّي أراها المَوْتَ لا دَرَّدَرُّها إذا أمْكَنَتْ أنيابَها والبَراثِنا

وبعد ذلك يتحدث عن نجاتِهِ من مطارديهِ، وفرارهِ من ساحة المعركة، ولولم ينجُ منهُم لأمسى قتيلاً في صحراء غبراء، أويبن براثن ضَبَع تنبشُ الأرض بحثاً الجَيف.

" وقد أتهم الأعرابي بماديته المفرطة وبطمعهِ الفظيع، فهويحارب معك، ثم ينقلب عليك ويصير مع خصمك، إذا وجد أنَّ في الجانب الثاني حلاوة، وأنهُ مستعد لأعطائِهِ أكثر مما أعطيتَهُ، حاربوا مع الرسول(ص) ثم صاروا عليهِ وأنتهبوا عسكرهُ، وجاؤوا إليهِ فعرضوا عليهِ الإسلام، فلما أرادوا العودة إلى بلادهم وهم مسلمون، وجدوا رعاةً للرسول(ص)، فإنتهبوهُ وقتلوا حماته مع علمهم بأنهُ لَهُ، وإنَّ إنتهاب مال المسلم حرام، فكيف بهم وهم ينتهبون مال رسول الله(ص) "[1]. وقد ندر القرآن الكريم بطمعهم حيث يقول جل علاه:- " قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا"[2].

ولقد لخص جرجي زيدان حال العرب قبل الإسلام بأنهم، " كانوا غارقين في الفوضى والجهالة لا عمل لهم إلا الغزووالنهب والحرب في بادية الحجاز والشام وفي نجد وغيرها من بلاد العرب"[3].

وكانوا يقدسون الغزو، وأصبح وسيلة من وسائل حياتهم، بل شريعة مقدسة يكمن فيها سر الحياة، ويعبر عن ذلك دريد بن الصمة حين يقول[4]:-

يُغارُ علينا واترينَ فيشتفى بنا إن أصبنا أونغير على ولِز

(1)تاريخ العرب قبل الإسلام: 4/ 295.

(2) الحجرات: 14.

(3)تاريخ الأدب العربي، جرجي زيدان: 1/ 29.

(4)الحماسة لأبي تمام: 2/ 825.

قَسَمْنا بِذاكَ الدهرَ شطْرَين بينَنا فما ينقضي إلا ونحسن على شَطْرِ

فالغزوإذاً وسيلة من وسائل عيشهم، ذلك العيش المشوب بالضنك والشظف، فكانوا يميلون إلى المبالغة، المبالغة في كلامهم والمبالغة في إعطائِهم إذا أعطى، والمبالغة في مد أنفسهم، والتباهي بشجاعتِهم وبكرمِهم وبشدة صبرهم، مع وجود تناقض فيهِ بالنسبة إلى دعاويهم هذه، فكانوا يحبون المدح كثيراً، فإذا أعطى، صور ذلك في غاية الجود، وبالغ فيهِ، ويظل يذكرهُ في كل وقت، لا سيما إذا كان من شاعرٍ، وهوصحافي ومذيع ذلك الوقت، وكانوا صارمون وعبوسون، إذا ضحك ضحكَ بقدر، وكأنهُ يدفع بضحكتِهِ هذهِ ضريبة فرضت عليهِ، فكانوا يكرهون الدعابة، ويرى فيها تبذيلاً لنفسِهِ، وبقوا بهذا الشكل، حتى جاء الإسلام، وغَيَّرَ أحوالَهُم.

فالمجتمع الجاهلي في صورته العامة مجتمع قبلي، إنقسم فيه العرب إلى وحدات إجتماعية متعددة، عرفت كل منها بإسم القبيلة "وهي جماعات من الأعراب البدائيين يسكنون الخيام ويقطنون الصحراء، لا همَّ لهم إلا الغزووإنتجاع الكلأ"[1].

وقد نزلت كل وحدة من هذه الوحدات الإجتماعية في بقعة من الجزيرة العربية، وإتخذت منها موطناً لها، فإذا ما ساءت ظروفها الجغرافية، فأحالت موطنها إلى بقعة جرداء غير صالحة للحياة، إنتقلت منها إلى بقعة أخرى.

لذلك كانت القبيلة الوحدة الإجتماعية التي عرفها المجتمع الجاهلي في باديتِهِ ومدنِهِ وهي عماد الحياة في الجاهلية، بها يحتمي الأعرابي في الدفاع عن نفسِهِ وعن مالِهِ وهذه القبائل أشبه بدول صغيرة.

وكانت القبيلة في العصر الجاهلي تتألف من "ثلاث طبقات: أبناؤها وهم الذين يربط بينهم الدم والنسب، وهم عمادها وقوامها، والعبيد، وهم رقيقها المجلوب من البلاد

(1)مصادر الشعر الجاهلي، د. ناصرالدين الأسد: 5.

الأجنبية المجاورة وخاصةً الحبشة، والموالي، وهم عُتَقاؤها، ويدخل فيهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم ونفتهم عنها لكثرة جرائرهم وجناياتهم"[1].

وأهم رابطٍ في النظام القبلي الجاهلي هي العصبية القبلية، وأصل هذه الكلمة جاء من " العصبية: أن يدعوالرجل إلى نصرة عصبيتِهِ، والتألبُ معهم، على من يناويهم ضالمين كانوا أومظلومين، والعصبي هوالذي يغضبُ لعصبتهِ ويحامي عنهم، والعصبة أي الأقارب من جهة الأب، لأنهم يعصبونَهُ أي يحيطون بهِ ويشتد بهم"[2]، ويراها أبن خلدون " النصرة على ذوي القربى وأهل الأرحام، أن نالهم ضيم أوأصابهم هلكة"[3].

وعرفها الدكتور شوقي ضيف بأنها " الرباط الذي يوثق الصلة بين أفراد القبيلة"[4].

ولقد عبر عنها (عمروبن الأهتم المنقري)[5] مبيناً أثرها حتى يشتد الخطب:-

جزى الله خيراً منفراً من قبيلةٍ إذا الموت بالموتِ أرتدى وتأزَّرا

دعوتُهم فأستعجلوني بنصرهم إليَّ غِضاباً ينفضون السنَّورا

فالقبيلة إذاً " جماعة من الناس تضم طوائف أصغر منها، وهي تنتمي كلها إلى أهل واحد وجذر راسخ، ولها نسب مشترك يتصل بأبٍ واحد هوأبعد الآباء والجد الأكبر للقبيلة، فالرابط الذي يربط بين أبناء القبيلة ويجمع شملها ويوحد بين أفرادها هو(الدم)، أي النسَب، والنَسَبُ عندهم هوالقومية ورمز المجتمع السياسي في البادية، والقبيلة هي الحكومة الوحيدة التي يفقهُها الأعرابي، حيث لا يشاهد حكومة أخرى فوقها، وما تقررهُ حكومتهُ هذهِ من قرارات يطاع وينفذ، وبها يستطيع أن يأخذ حقَّهُ من المعتدي عليهِ"[6].

---

(1)تأريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي)، د. شوقي ضيف: 67.

(2)لسان العرب: مادة (عَصَبَ).

(3)مقدمة أبن خلدون: 138.

(4)تأريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي): 49.

(5)الحماسة البصرية: 44.

(6)تأريخ العرب قبل الإسلام: 4/ 313.

" وأصل تكوين القبيلة الأسرة، فمجموعة الأسر تشكل القبيلة ولكن هذهِ الأسر يربطها رباط الدم واحد الذي يجري في عروقهم"[1]، وكانت القبيلة حاجة ضرورية لحفظ أرواحهم وممتلكاتهم لعدم وجود حكومات أوإدارات تحفظ أمنهم وحقوقهم.

والقبائل القوية هي القبائل الكثيرة العدد والموارد، "وإذا ترأسها سادات ذوكفاءة وقدرة، هابتها القبائل الآخرى، وسادت على غيرها، وكونت منها ومن القبائل التي تستولي عليها مملكة، كالذي فعلتهُ كندة"[2].

ومن مفاخر القبائل في الجاهلية كثرة ماعندها من فرسان، فالفرسان في تلك الأيام هم عماد حركة الجيوش، ومن أسباب القوة والأنتصار، وقد عدوا القبيلة التي يكون فيها ثلاثمائة فارس أونحوها جمرة، وقيل الجمرة: ألف فارس"[3].

قال الخليل[4]: الجمرة كل قومٍ يصبرون لقتال من قاتلهم، لا يحالفون أحداً، ولا ينضمون إلى أحد، تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لمقارعة القبائل كما صبرت عبس لقيس كلها.

وكانت القبيلة تحرص على أن تكون لها شاعر وقائد وخطيب، والشاعر أكرم عليهما وأحب اليها من هذين، فكانت "إذا نبغ فيها شاعر تصنع الولائم وتقيم الأفراح وتهنئها القبائل، وذلك لأن الشعراء يقودون قومهم بقولهم، ويخلدون مآثرهم على الدهور، وينقشون مفاخرهم في الصدور، لا يبتغون على ذلك جزاءً ولا صلةً"[5]. لذلك أهتم العرب بالشعر وقيل أن الشعر ديوان العرب وأن الشاعر هوالذي يمجدهم وتتفاخر بهم وهوالناطق الرسمي بأسمهم.

وللقبيلة رئيس يتزعمها في السلم والحرب، وينبغي أن يتصرف لصفات أهمها، أن يكون شريفاً في أفعالِهِ حليماً كريماً، يغض نظرهُ عن أعمال الحمقى والجهلة، وأن يتجاهل

---

(1)الشعر الجاهلي حصاد قرن، د. عفيف عبد الرحمن: 23.

(2) تأريخ العرب قبل الإسلام: 4 / 331.

(3)لسان العرب: مادة (جمر).

(4)البيان والتبين، للجاحظ: 2 / 60.

(5)تأريخ الأدب العربي، احمد حسن الزيات: 36.

السفلة والسفهاء الجاهلين، فلا يغضب ولا يثور، وأن يحترم الناس مهما كانت منازلهم وأن يؤلف بينهم ويكتسب محبتهم، وأن يكون ملاذهم، وأن يجعل بيتهُ بيتاً للجميع ومضيفاً لكل من يفيد إليهِ من كبيراً أوحقير أوصغير، وأن يفتَحَ قلبهُ للجميع.

وأن يقوم في مقدمة القوم في الحروب والغزو، وأن يكون شجاعاً لا يهاب الموت، حتى يكسب النصر لنفسهِ ولقومهِ، وعليهِ أن يكون قائد قبيلتِهِ وواضع خطط الحرب، لأنهُ رمز القبيلة ورمز النصر وباعث الهمم في نفوس أبناءهِ، وهوأب القبيلة وهوروح القبيلة وشعارها، فكان الفرسان يوجهون كل قوتهم نحوالرؤساء، لأنهم على علمٍ بأنهم إن تمكنوا من الرئيس فقتلوهُ، غلبوا عدّوهم في الغالب وقضوا عليهِ، فهوالروح المعنوية عند الأعراب، وليست قيادة القبيلة بأمر سهل يسير، لا سيما إذا كانت قبيلة كبيرة ذات عشائر وأرهاط منتشرة في مواضع متباعدة، والرئيس الناجح هوالرئيس الذكي الفطن الذي تكون لَهُ قدرة وقابلية على التصرف بذكاء وبحذر وفقاً لعقلية القبائل[1]. وواجباتهُ كثيرة " تتمثل في قيادتِهِ للحروب، وأستقبال وفود القبائل، وعقد الصلح، وعقد المحالفات، وإتخاذ التدابير في سِنِي القحط، وإقامة الضيافات، وتحاشي الظلم، ونجدة المستغيث الملهوف، وحفظ الجوار، وإغاثة المُعْوِز والضعيف، وتحمل أكبر قسط من جرائر القبيلة ودياتها"[2].

وقد ذكر معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب[3] هذهِ الواجبات حين قال:-

نُعطي العشيرةَ حَقَّها وحقيقها ... فيها، ونغفر ذنبها ونسودُ

وإذا تُحَمِّلنا العشيرةُ ثِقلَها ... قمنا بهِ، وإذا تعودُ نَعودُ

وإذا نوافق جراةً أونجدةً ... كنا، سُميَّ بها العدونكيدُ

(1) ينظر: بلوغ الأرب: 1 / 99.

(2)الشعر الجاهلي حصاد قرن:26.

(3)المفضليات: 104.

بـل لا نقـــول إذا تبـــوأ جـيرةً   إن المَحَلَّـــــةَ شـــعْبُها مكـــــدودُ

إذ بعـضهم يحمـي مراصـدَ بيتـــهِ   عـــن جـــارهِ وســـبيلُنا مـــوروذُ

قالت سميتـهُ: قـد غَويـتَ، بـأن رأتْ   حقـــاً تنـــاوبَ مالنـــا ووفـــودُ

غَـــيٌّ لعمـــركِ لا أزالُ أعـــودُه   مـــا دام مـــالٌ عنـــدنا موجـــودُ

" ويمتاز سيد القبيلة عن سائر رجال قبيلتهِ ببيتهِ الكبير، المكون من خيمة ضخمة، ويمتاز عن أفراد قبيلتِهِ بكثرة عدد نسائِهِ، فسيد القبيلة مزواج في الغالب، عندهُ المال، وعندهُ الجاه والرئاسة، فلا يجد صعوبة في الحصول على زوجات صغيرات السن لينجبن لَهُ أولاداً، يكونون لَهُ حصناً حصيناً وأمناً له على مالِهِ، وعوناً لـه على القبيلة، فيحمي بهم نفسَهُ ممن قد يطمع في الرئاسة وفي إنتزاع السيادة منهُ بالقوة"[1].

ونجد في شعر (عامر بن طفيل) [2]، وهوأحد مشاهير فرسان العرب، تفنياً بأفعالِهِ وبشجاعتِهِ وبدفاعِهِ عن قومِهِ، وتبحجاً بسيادتِهِ على قومِهِ، وإعتزازاً بأن سيادتَهُ هذهِ لم تأت إليهِ عن وراثة، وإنما جاءتهُ بفعالِهِ وبدفاعِهِ عن قومِهِ، وهويقول:-

إنـي وأنْ كنـتُ إبـن سـيد عـامرٍ   وفارســـها المـــشهور في كـــل مـــوكِ

فمـا سـودتني عـامر عـن وراثـةٍ   أبـــى الله أن أسموبـــــــأم ولا أبِ

ولكـنني أحمـي حمامهـا وأتقـي   إذاهـا وأرمـي مـن رماهـا بمنكـبِ

ويذكر أهل الأخبار " أن أهل الجاهلية كانوا لا يسوّدون إلا من تكاملت فيهِ ست خصال: السخاء والنجدة والصبر والحلم والتواضع والبيان"[3].

وكان العرب وإلى يومنا هذا حريصون على حفظ أنسابهم، فيروى لك شجرة نسبِهِ حفظاً ويرفعها إلى جملة أجداده.

---

(1) تأريخ العرب قبل الإسلام،: 4 / 348.

(2) الشعر والشعراء، لابن القتيبة: 192.

(3) بلوغ الأرب: 2 / 187.

"مناخ شبه الجزيرة العربية"

مناخ جزيرة العرب، على العموم، حار شديد الحرارة، "تسقط أمطار قليلة في الشتاء والربيع على نجد وشمال عُمان، أما صيفاً فتسقط أمطار معتدلة على بلاد اليمن وحضرموت بسبب الرياح المحملة ببخار الماء من المحيط الهندي، وفي فصل الأمطار تنموالحشائش وتكون مراعٍ للأبل والماشية وتكثر في بعض جبال اليمن الغابات"[1].

فالجفاف هوالصفة الغالبة على جوجزيرة العرب فالأمطار قليلة والرطوبة منخفضة من الداخل، " ولا توجد فيها أنهار بل فيها وديان يتوفر فيها الماء أيام المطر، كذلك يوجد بعض الآبار والينابيع في أجزاء نجد والجزء الشرقي من الجزيرة قرب الساحل وبعض المناطق الجبلية في الغرب"[2].

وكانت " مكاسبهم وحياتهم المعيشية موقوفة على الأمطار حيث نشطت الزراعة في المناطق التي فيها الأمطار وتتوفَرُ المياهُ خاصةً قرب العيون والآبار"[3].

فكانت طبيعة الجفاف غالبة على جزيرة العرب، وكان لهذهِ الطبيعة أثرها في الحياة اليومية عند العرب، فغلبت عليهم البداوة، وأثرت في النظم والآراء السياسية والإجتماعية والإقتصادية والحربية وفي سائر نواحي الحياة الآخرى.

وكان الشغل الشاغل لكثير منهم، صيد الحيوانات، فكانوا يدربون الكلاب عليهِ حتى تصبح في الجوارح الفاتكة، وفي شعرهم قطع كثيرة تصف المعارك التي كانت تنشب بينها وبين الأتن وحمارها أوالبقر وثورها، وفي معلقة (لبيدبن ربيعة) [4] وصف بارع لأتن وحمارها، ثم لبقرة وحشية تعقبها الرماة بنبلهم، ولما يئسوا أن يصيبوا منها، أرسلوا في

---

(1) موجزجغرافية الوطن العربي، فاضل الخباز: 28.

(2) المصدر نفسهُ: 28.

(3) الطبيعة في الشعر الجاهلي: 74.

(4) شرح المعلقات السبع: 155.

إثرها جوارح الكلاب فنشبت معركة حامية قتلت فيها البقرة كلبتين هما كساب وسُخام، يقول:-

حتى إذا يَئِسَ الرماةُ وأرْسَلُوا ... غُضْفاً دَواجِنَ قافِلاً أعْصامُها

فَلَحِقْنَ واعْتَكَرَتْ لها مَدْرِيَّةٌ ... كالسَّمهَرِيَّةِ حَدُّها وتَمامُها

لِتَذودَهُنَّ وأيْقَنَتْ إن لم تَزدْ ... أنْ قد أحَمَّ من الحُتوفِ حِمامُها

فَتَقَصَّدَتْ مِنها كَسابِ فَضُرِّجَتْ ... بدمٍ وغُودِرَ في المَكَرِّ سُخامُها

والجمل هوالحيوان الأليف الوحيد الذي إستطاع بعنادهِ وبصلابتِهِ على السير فوق رمال الصحاري، غير عابىءٍ بالرياح العاتية التي تذروالرمال في الأعين، وتنقل أكواماً منها معها، وهوأيضاً من أقدم الحيوانات التي سمعنا بها عند العرب، وأعزها، فليس لحيوان آخر القدرة على إجتياز البوادي وأختراقها وتحمل مشقتها وعطشها مثل الجمل، ثم أنهُ مركب العرب، يحملهم، ويحمل تجارتهم وأمتعتهم، وهوطعام الإنسان إن أشد به الجوع، أوجاءهُ ضيفٌ كبير، وهويشرب حليب النوق ويجد فيهِ شفاءً وعافية وتعويضاً عن الماء والطعام، والإبلُ هي المال عند العرب، وبها كانوا يقدرون أثمان الأشياء ويتعاملون في تجارتهم وفي أسواقهم، فالجمل عندهم هووحدة قياسية في البيع وفي الشراء وفي تقدير الحقوق كالديات والفدية والمهور، وبمقدار ما يملك الإنسان من جمال تقدر ثروتهُ وينظر إلى غِناهُ[1].

إنَّ الحياة في البادية كانت في غاية البساطة، ساذجة إلى أقصى حدٌ من السذاجة، فليس للرجل في البادية من عمل سوى رعي الإبل والإشراف عليها، وهوعمل لا يتطلب بذل طاقة ولا يستوجب مجهوداً، فكانوا يقضون معظم وقتهم جلوساً بغير عمل، وحياة على هذا النحوتجعل الإنسان خاملاً كسولاً، أما النواحي العملية من الحياة، أي النواحي التي تحتاج إلى جهدٍ وعمل، فقد ترك أمرها لغيرهِ، فكانوا يحتقرون الحرف

(1)تأريخ العرب قبل الإسلام: 5 / 338.

والصناعات، لأنها من عمل الأعاجم والعبيد، فكان أفق التفكير لديهم محدودٌ وضيق، إذ لا مجال للفكر أن يتفتح ويتوسع، ومن هنا طبعت الحياة العقلية والإجتماعية بطابع البساطة والفطرة، ولم يكن الحياة في البادية سهلة وبسيطة، فالصحراء كانت مليئة بالمخاطر، ولذلك كان العرب يتربص بعضهم ببعض، فكانت حياتهم كما قلنا حياة حربية مستمرة ودامية، وقد تحولت هذهِ الحياة الحربية من بعض وجوهها إلى مصدر من مصادر رزقهم، إذ كانوا يتخذون الغزووسيلة من وسائل عيشهم[1].

وصور (تأبط شراً) [2] في قصيدته ذلك أحسن تصوير، حيث قال:-

يَظَلُّ بموماةٍ ويُمسي بِغيْرِها ... جَحِيشاً ويَعْرَوْرَى ظُهُورَ المَهالِكِ

ويَسْبِقُ وَفْدَ الرِّيحِ مِنْ حَيثُ يَنْتَحِي ... بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدِّهِ المُتَدارِكِ

إذا خاطَ عَيْنَيهِ كَرَى النَّوْمِ لَمْ يَزَلْ ... لَهُ كالِئٌ مِن قَلْبِ شَيْحان فاتِكِ

ويَجْعَلُ عَيْنَيهِ رِبيئَةَ قَلْبِهِ ... إلى سَلَّةٍ مِنْ حَدِّ أخْلَقَ صائِكِ

إذا هَزَّهُ في عَظْمِ قِرْنٍ تَهَلَّلَتْ ... نواجِذُ أفْواهِ المَنايا الضَواحِكِ

يَرى الوَحشةَ الأُنسَ الأنيسَ ويَهتَدي ... بِحَيثُ اهتَدتْ أُمُّ النُجُومِ الشَوابِكِ

فكانوا يركبون ظهور المهالك ولا يستصحبون رفيقاً سوى أرجلهم التي تعودت على سرعة العدو، وهم دائماً مفزوعون حتى في النوم.

"ديانة العرب"

كانت العرب في الجاهلية على أديان ومذاهب مختلفة، كان منهم من آمن بالله، ومنهم من آمن بالتوحيد وكان منهم من آمن بالله، ومنهم من تعبدَ الأصنام، إذ زعموا أنها تقربهم إليهِ، زاعمين أنها تنفع وتضر، ومنهم من دان بالمجوسية، ومنهم من توقف فلم يعتقد بشيء، ومنهم من تزندق، ومنهم من آمن بتحكم الآلِهة في الإنسان في هذه

---

(1) ينظر، تأريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): 78.

(2) ديوان تأبط شراً: 44.

الحياة، وببطلان كل شيءٍ بعد الموت، فلا حساب ولا نشر ولا كتاب، ولا كل شيءٍ مما جاء في الإسلام عن يوم الآخرة.

وقد ذهب أهل الأخبار إلى أن "العرب الأولى كانت على ملة إبراهيم، من الإيمان بإلهٍ واحد احد، أعتقدت بهِ، وحَجّت إلى بيتهِ، وعظمت حرمه، وحرمة الأشهر الحرم، بقيت على ذلك، ثم سلخ بهم إلى أن عبدوا ما إستحبوا ونسوا ما كانوا عليهِ، وإستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان، وأتبعودين آبائهم وأجدادهم، حتى أعادهم الإسلام إليه"[1].

وإن القرآن الكريم هومرجعنا إلى أديان العرب في العصر الجاهلي، ففيهِ تفضيل لما كان عليهِ الناس من عبادات وآراء وفيه إشارات إلى أجوبة لعبدة الأصنام وإتخاذهم (أولياء) من دون الله، إذ يقول الله تعالى:- "واللذين إتخذوا من دونه أولياء، ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، إن الله يحكمُ بينهم في ماهم فيهِ يختلفون"[2].

وتبين في هذه الآية أن من العرب كانوا يعتقدون بوجود الله، وأنهُ هوالذي خَلَقَ الخلق، وأنَّ لَهُ السيطرة على تصرفات عبادِهِ وحركاتهِم، ولكنهم عبدوا الأصنام وغيرها و"إتخذوا الأولياء والشفعاء لتقربهم إلى الله زلفى، وتذرعوا بأنهم مُذنبين لا يحق لهم دعاء الله مباشرةً بل عبر آلهتهم، وأصبح لكل قبيلةٍ صنم خاصٌ بهِ، كما لدى الأمم الآن أعلام مميزة"[3].

وكان العرب في الجاهلية "يدينون بالوثنية التي ترتكز على تقديس الحجارة والينابيع والأشجار والأصنام"[4]، ويشير القرآن الكريم إلى بعض آلهته ورموزها من أصنامهم وأوثانهم، فيقول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾[5]، "

---

(1) إيمان العرب في الجاهلية، أبواسحاق ابراهيم بن عبدالله: 12.

(2) الزمر: 3.

(3) الأصنام، لابن الكلبي: 17.

(4) الأصنام: 16.

(5)النجم: 18

فـ(اللات والعزى) من الأصنام الأكثر شيوعاً عند سكان الجزيرة العربية"[1]، ويقول سبحانهُ وتعالى: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[2].

وفي كتاب الله مصطلحات لها علاقة بعبادة الشرك، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3]، فالشركاء هنا جمع (شريك) وهومن إتخذه المشركون شريكاً مع الله، ونرى قولَهُ تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[4]، وهناك كلمات أخرى يدل على نفس المعنى مثل (أولياء، شفعاء، شهداء) فهذه الكلمات وأمثالها تعبر عن عقائد الجاهليين قبيل الإسلام، وعن إعتقادهم في عبادة أشياء أخرى مع الله كانوا يرون أنها تستحق العبادة، وأنها في مقابل الله في العرف الإسلامي، أوأنها شركاء في إدارة الكون أوأنها مساعدة لله.

والشرك في تفسير العلماء الإسلاميين، "أن يجعل لله شريكاً في ربوبيته، غير الله مع عبادتِهِ، والإيمان بالله وبغيرِهِ، فصاروا بذلك مشركين"[5]. ولا يمكن أن تجعل لله شريكاً، فهوواحدٌ أحد، ومن جعل لله شريكاً فهومشرك.

والتوحيد" هوالأيمان بإلهِ واحدٍ أحد لا شريكَ لَهُ، منفرد بذاتِهِ في عدم المثل والنظير، لا يتجرأ ولا يثني ولا يقبل الإنقسام"[6].

---

(1)الأصنام: 17.

(2)نوح: 23

(3)الأنعام: 100

(4)البقرة: 165

(5)تاج العروس: 7 / 147.

(6)المصدر نفسه: 2 / 526.

وهناك آيات في القرآن الكريم يدل على أن أهل الجاهلية كانوا يعبدون الأجرام السماوية ولا سيماالشمس والقمر، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [1].

وكان العرب في الجاهلية يتعبدون الأحجار الغريبة، فإذا رأوا حجراً أحسن وأعجب، تركوا الحجارة القديمة وأخذوا الحجارة الجديدة.

ولا أجد وصفاً للحياة الجاهلية أشمل وأوجز وأنسب بمقام الاختصار من قول بعض أصحاب رسول الله(ص)،هو(جعفر بن أبي طالب) للنجاشي ملك الحبشة حين هاجروا إليها وسألهم عن حالهم، فقال: "....... كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذللك حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبَهُ وصدقَهُ وأمانتَهُ وعفافَهُ، فدعانا إلى اللهِ لنوحدَهُ ونَعْبُدَهُ، ونَخْلَعَ ما كُنا نَعبُد نحنُ وآباؤنا من دونه الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة......."[2]. واللهُ هوالأعلم......

---

(1) فصلت: 37.

(2)السيرة النبوية:67.

المبحث الثاني

((القيم الخلقية في العصر الجاهلي))

هناك الكثير من القيم الخلقية الايجابية التي حرص العربي عليها وتغنى بها، وهي منثورةٌ في أشعاره، فهوحريص على سمعته الحسنة التي يكتسبها من الأخلاق الفاضلة فيكبر في عين المجتمع والقوم فعنترة بن شداد[1] يخاطب ابنة عمهِ ويقول:-

أثني عليّ بما علمت فإنني | سمح مخالطتي اذا لم أظلمِ

وكذلك نرى عروة بن الورد[2] الذي يسعى للذكر الحسن والخلود فيخاطب زوجته:-

ذريني ونفسي، أم حَسان، اني، | بها، قبل أن لا أملك البيع مشتري

أحاديث تبقى، والفتى غيرُ خالد، | اذا هوأمسى هامةً فوق صَيِّرِ

فكان يبذل المال والنفيس في سبيل الذكر الحسن لأن المال يفنى والذكر يبقى كما يقول تأبط شراً[3] وهويردُّ على معاتبهِ:-

يقول، أهلكت مالاً لوقنعت بهِ | من ثوب صدق، ومن بزٍّ وأعلاقِ

عاذلِتي إن بعض اللوم معفنة | وهل متاعٌ، إن أبقيه، باقِ

إن هذه القيم الحميدة منتشرة في الشعر الجاهلي فالمتتبع لهذه القصائد يرى بأن هذه القيم تشكل حديقة جميلة، والقارئ يجد نفسه معجباً ومشدوداً لتلك الدعوات الحميدة للتحلي بالأخلاق التي صاغوها شعراً ولوأنه بالغوا في كثير من الأحيان في أوصافيها،

(1) هوعنترة بن شداد، العبسي، المضري، وكنيته (أبوالمعلس)، توفي نحو(22 ق.هـ) ديوانه: 19.

(2) هوعروة بن الورد بن حابس بن زيد بن عبس بن الغطفاني بن قيس بن مضر، يكنى ب(أبا الصعاليك)، ديوانه:143.

(3) ديوان تأبط شراً: 43.

فكتب الأدب والتأريخ غنية بتللك القصص الممتعة، فالشنفري[1] حريص على كرامته وعزة نفسه ويقول:-

وفي الأرضِ منآى الكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى مُتَعَّزلُ

لأستافُ تُرْبَ الأرضِ كيلا يرى لَهُ عليَّ من الطولِ أمرؤٌ مُتطوِّلُ

والذين إنتهى إليهم الجود في الجاهلية ثلاثة نفر" حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي، وهرم بن سنان المري، وكعب بن مامة الإيادي، ولكن المضروب به المثل حاتم وحده، وهوالقائل لغلامه يسار، وكان إذا إشتد البرد وكليب الشتاء أمر غلامه فأوقد ناراً في يفاع من الأرض لينظر لإليها من أضل الطريق ليلاً فيصمد نحوه"[2]، فقال في ذلك:-

أوقِد، فإنَّ اللّيلَ لَيلُ قَرٌّ والريحُ، يا واقد، ريحٌ صِرٌّ

عَسى يَرى نارَكَ مَنْ يَمُرٌّ إن جَلَبَتْ ضَيفاً، فأنتَ حُرٌّ[3]

ويقول (حاتم الطائي) [4] مخاطباً إمرأته (ماوية) بنت عبدالله:-

أيا إبنة عبدالله، وأبنة مالك ويا إبنة ذي البردين والفرس الورد

إذا ما صنعت الزاد، فالتمسي له أكيلاً، فإني لستُ آكِلَهُ وحدي

أخاً طارقاً، أوجارَ بيت فإنني أخاف مذمات الأحاديث من بعدي

وإني لعبد الضيف، مادام ثاويا وما فيَّ، إلا تلك، من شيمةِ العَبدِ[5]

(1) هوثابت بن أوس الازدي، وقيل أن الشنفري اسمه ومعناه (العظيم الشفتين)، توفي حوالي سنة (510م)، ديوانه: 72.

(2) العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي: 1 / 233.

(3) هوحاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي، القحطاني، أبوعدي، توفي نحو(46 ق.هـ)، ديوانه: 79

(4) المصدر نفسه: 40.

(5) هوالسموأل بن عريض بن عاديا بن حباء، ديوانه: 66/ 70.

هذه مُثلٌ إعتز بها العربي في ذلك العصر وزها بها معتزاً فخوراً، لأنها وسام يُزَيِّن فيها صدره وصدر قبيلته فعنترة بن شداد[1] يتعامل بحياء وعفة مع جارته ولايغدربها:-

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي   حتى يواري جارتي مأواها

إني أمرؤ سمح الخليقة ماجد   لا أتبع النفس اللجوج هواها

فالعربي لم يتهاون عن أداء واجبه والدفاع عن وطنه وشرفه بل كان الشرف أغلى من كل جاه ومال، يقول السمؤال[2] في قصيدته:-

تعيرنا أنا قليل عديدنا   فقلت لها: إن الكرام قليلُ

وما قلَّ من كانت بقاياهُ مثلنا   شباب تسامى للعُلى وكُهُولُ

لنا جَبَلٌ يحتله من نجيره   منيف يرد الطَّرفَ، وهوكليلُ

نحن أناس لا نرى القتل سبةَ   إذا ما رأته عامرُ وسلولُ

إن الصور البليغة في الشعر الجاهلي التي تدعوإلى القيم الخلقية النبيلة وتدعولإصلاح إلنفس وتحلها بالقيم والمبادئ الحسنة والصفات الحميدة قد أقرها الدين الإسلامي وجعل لها الأسس المحكمة، ورتب عليها نتائج إيجابية وأثاب عليها، هذه الخصال التي تهذِّب النفس وتصقلها، وتُزكي الأخلاق مما يُذكر ويُحمد، وقد قال رسول الله[3] (ص):- (إنما بعثتُ لأتمِّمَ صالح الأخلاق.....).

---

(1) مسند الامام أحمد بن حنبل أحمد: 3/ 80.

(2) شرح المعلقات العشر، الشيخ أحمد بن أمين الشنقيطي: 113.

(3) ديوان زهير بن أبي سلمى: 77.

وكان لدى الشعراء الجاهليين نزعة زهدية لا تتعدى حياة البشر، وتقلب الدهر، وضعف الإنسان أمام حوادثه والأبتعاد عن الأعمال الشريرة والفاسدة يقول لبيد بن ربيعة العامري[1]:-

ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ وكل نعيم لامحالة زائل

أوكقول زهير بن أبي سلمى[2]:

ألا لا أرى على الحوادث باقياً ولا خالداً إلا الجِبالَ الرَّواسِيا

ألم تر أنَّ الله أهلك تبعاً وأهلك لُقمان بن عادٍ وعاديا

وبلغ بالشعراء أن يدعوا الناس إلى القيم النبيلة قولاً وعملاً ويحافظوا عليها، وأكثروا من النصائح، فها هوالشاعر (عبيد بن الأبرص)[3] يملي نصائحه على الناس ويقول:-

مَن يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيبُ

بالله يُدرك كل خير والقول في بعضِهِ تلغيبُ

والله ليسَ لَهُ شريك عَلام ما أخفتِ القلوبُ

أفلح بما شئت فقد يبلغ بالضعف وقد يُخدع الأريبُ

لا يعظ الناس من لا يعظُ الدهر، ولا ينفع التلبيب

ساعد بأرض إن كنت فيها ولا تقلْ إنني غريبُ

والمرءُ ما عاش في تكذيبِ طولُ الحياةِ له تعذيبُ

---

(1) هوعبيد بن الابرص بن حنتم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث شاعر فحل فصيح، توفي حوالي سنة (600م)، شرح المعلقات العشر: 274.

(2) القصيدة العربية قبل الإسلام (رسالة دكتوراه)، عبد الحسن حسن خلف: 122.

(3) ديوان زهير بن أبى سلمى: 150.

ولقد أشاد الشعر الجاهلي بالأخلاق الحميدة " لأهميتها في الحياة الأفراد والمجتمع وفشغلت فكر الشعراء، وأثرت في أحاسيسهم ومشاعرهم، فرددوها في قصائدهم، وتغنوا بمفاخر قومهم الأخلاقية، حتى غدت مثالا سامية يسعون إلى تجسيدها والإشادة بها[1]".

فالأخلاق الكريمة عادة يلتزمها القوم ويحافظون عليها، فتطبع عليها نفوسهم، فيريثها الآباء إبنائهم، يقول (زهير بن أبى سلمى)[2] في (هرم بن سنان):-

وعـوّد قومـه هـرم علـيه	ومـن عاداتـه الخلـق الكريمـة
كمـا قـد كـان عـودهم أبـوه	إذا أزمـتهم يومـاً أزوم

ويدرك الشعراء والمجتمع أن الناس يتفنى أجسامهم وعظامهم، وتخلد على الأيام أخلاقهم، فحري بهم أن يحرصوا على كرمها، ويصونوا النفوس من لؤمها، لكونها تبقى ميراثاً للأجيال القادمة، يثنون على أصحابها وفي ذلك قال حاتم الطائي[3]:-

أغـال إن الجـود لـيس بمهـلـكي	ولا مخلـد الـنفس الـشحيحة لـومها
وتـذكر أخـلاق الفتـى وعظامـه	مغيبـة مـن اللحـد بـال رمـيمها
ومن يبتدع مـا لـيس مـن خلـق فتـى	يدعـه ويغلبـه علـى الـنفس خيمهـا[4]

والأخلاق العربية عديدة ومتنوعة، لكونها ميراث أجيال عديدة حرصت على تناقلها والحفاظ عليها، ولومثلنا لكل خصلة لطال بنا الحديث، ولعل القصيدة التي عرف بها السموأل[5] ومطلعها:-

(1) ديوان الحماسة: 563.

(2) الخيم: الطبيعة والخلق.

(3) ديوان السموأل: 11.

(4) القيم الخلقية والإجتماعية في الشعر العربي قبل الإسلام (رسالة ماجستير)، عبد الحسين حداد كنيرمل: 162.

(5)ديوان إمرئ القيس: 199.

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداءٍ يرتديه جميلُ

وإن هولم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل

خير مثال يصور الأخلاق العربية، ولقد بقيت تلك المآثر الأخلاقية بعد عصرها، تتناقله الأجيال شعراً عبر القرون والعصور، "حتى أصبحت القصيدة الجاهلية بمثلها الأخلاقية ومضامينها الفكرية تراثاً فكرياً للأجيال المتعاقبة، فخلد مآثر العرب وحفظت أنسابهم، فكانت ولا تزال حلقة تواصل فكري وعقلي بين أجيالهم"[1]

لقد حرص العرب على الوفاء لأنه" عنوان الشرف والإلتزام بالمسؤولية لكي يؤدي المعاني الحقيقية التي يطمح العرب لتحقيقها في مجتمع تسوده المحبة والأخاء"[2]

فكانوا مشهورين بالوفاء، وكانت كلمتهم بمثابة وثيقة رسمية بين الأشخاص، وكانوا يحترمون الناس الأوفياء، يقول أمرؤ القيس[3] في مدحه لأبي حنبل:-

أحللت رحمي في بني ثعل إن الكرام للكريم محل

فوجدت خير الناس كلهم جارا وأوفاهم أبا حنبل

أقربهم خير وأبعدهم شراً وأجودهم أوان نجل

وقد ضربت العرب المثل في حسن الجوار بجار أبي داود الإيادي الذي يقول في (طرفة بن العبد):-

إني كفاني من هم هممت به جار كجار الحذاقي الذي أنتصفا

فكانوا يتصفون بالحلم ورجاحة العقل والإبتعاد عن الحمق والطيش وسرعة الإنفعال، وكانوا لا يميلون إلى القوة إلا بعد أن تنفذ كل الطرق السلمية، فها هو(زهير بن

---

(1) الشعر والشعراء: 162.

(2) نقد الشعر، قدامة بن جعفر: 69.

(3)ديوان عنترة بن شداد: 86.

أبي سلمى) يمدح بني الصيداء، بأنهم حلماء في أحوالهم الإعتيادية ولكنهم جهلاء في يوم الحرب فيقول:-

حلماء في النادي إذا ما جئتهم ... جهلاء يوم عجاجة ولقاء

من سالموا نال الكرامة كلها ... أوحاربوا اللوى من العنقاء.

لقد إتصفت فرسان العرب قبل الإسلام بمعاني الأخلاقية والخصال الحميدة كالشجاعة والبلاء في الحروب، والصبر على الشدائد، والحلم عند الغضب، والدعوة إلى الوحدة عندما تتعرض الجزيرة لغزوخارجي، ودفع الظلم، ورد الظالم وإعتدائه.

وقصائد الشعراء الفرسان صورة صادقة لأنفسهم الشريفة التي تأبى الذل، وتسموإلى العلاء، والتي تؤثر الجوع على الطعام الذليل، ولا تخون الجار في ماله أوعرضه، فها هو(عنترة بن شداد) يقول:-

لا تسقيني ماء الحياة بذلةٍ ... بل فاسقيني بالعز كأس الحنظل

ماء الحياة بذلةٍ كجهنم ... وجهنم بالعز أطيب منزلِ

ويقول (طرفة بن العبد) [1]:-

الخير خير وإن طال الزمان به ... والشر أخبث ما أوعيت من زاد

كما دعا فرسان العرب قبل الإسلام إلى حماية الضعيف، وإغاثة الملهوف، وحماية الجار، ونجدة الصريخ، وكان حديث البذل والعطاء لا يفارقهم في أشد المواقف وأحلكها، فمنهم من كان يؤثر ضيفه على نفسه، وأخر يقسم ماله وطعامه على المحتاجين والفقراء ويقضي يومه وبطنه خاوية، فيكون ذلك سبب ضعفه وهزاله، وهذا ما وضعه عروة بن الورد[2]، بقوله:-

أتهزأ مني ان سمنت وان ترى ... بوجهي شحوب الحق، الحق جاهد

---

(1) هوعمروبن العبد البكري الوائلي، عدناني النسب، توفي حوالي (70ق.هـ)ديوانه: 41.

(2) ديوان عروة بن الورد: 52.

أقسم جسمي في جسوم كثيرةٍ وأحسوقراح الماء، والماء بارد

ويوصي (قيس بن عاصم المنقري) [1] زوجته أن تطلب له ضيفاً يشاركه طعامه، لئلا يتهم بالبخل بعد موته، فيقول:-

إذا ما أصبت الزاد فالتمسي له أكيلاً فإني غير آكله وحدي

قصياً كريمٌ أوقريباً فإنني أخاف مذمات الأحاديث من بعدي

ومن أخلاق العرب أيضاً، " أنهم كانوا يحتقرون الضعيف وكانوا يستهنون بأمره، إذ ليس بمقدوره أن يضر أوينفع"[2].

ويؤكد هذا المعنى (طرفة بن العبد) [3] في قوله:

إذا أنت لم تنفع بودك قربةً ولم تنك بالبؤسي عدوك فأبعدِ

وفي قصائدهم هناك كثير حول هذا المعنى، فالضعف مثلة عند العرب، وهم لذلك ينفرون منه، فكانوا يحاولون بكل السبل إخفاءه، وإظهار ما ينبيء عن القوة.

والعرب بطبيعتهم كانوا يحبون المال، وإرتبطت مظاهر القوة بالمال لديهم، وكان الفقير الضعيف عندهم من لا يملك المال، ولا يقد على جمعه.

وهذا ما ينعكس في شعر (عروة بن الورد) [4]: -

دعيني للغنى أسعى فإني رأيت الناس شرهم الفقير

وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن أمسى له كرم وخير

ويلفي ذوالغنى، وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير

(1) الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية، عباس بيومي عجلان: 82.

(2) الكامل في اللغة والادب، للمبرد: 5/ 525.

(3) ديوان طرفة بن العبد: 40.

(4)ديوان عروة بن الورد: 58.

وكان العرب متعصبين لأرضهم وبيئتهم،" فالعربي الساكن بالقرى يحتقر البدوي، والعربي التاجر ينفر من الذي لا يشاركه، والبدوي يرى نفسه حقيقياً بكل خلال الخير، صاحباً لنعوت البطولة والفتوة"[1].

فالشعراء الجاهليون كانوا شديد تعصب لبئتهم المكانية وما عليها من زرع ونبات، ولوأمعنا النظر في قصائدهم لنرى ذلك بوضوح، وهذه القيم الإجتماعية جعلت الناس لا تحترم غير القوة، ومن هنا يأتي التعبير عن الواقع، والإفتخار بما يحدث يقول (عمروبن كلثوم) [2]:-

إذا بلــغ الفطـــام لنـــا رضـــيع	يخـــر لـــه الجبـــابر ســـاجدينا
طغـــاة ظـــالمين، ومـــا ظلمنـــا	ولكنـــا ســـنبغي ظالمينـــا

وهناك آفات كانت تشيع في هذا المجتمع الجاهلي، لعل "أهمها الخمر وإستباحة النساء والقمار، ونحن نجد الخمر تجري على كل اللسان وقد إشتهر بالحديث عنها وعن كئوسها ودنانها وحوايتها ومجالسها، مفاخرين بأنهم يحتسونها ويقدمونها لرفاقهم، وأكثر من كان يَتَجِرُبها اليهود والنصارى، وكانوا يجلبونها لهم من بُصْرى وبلاد الشام ومن الحيرة وبلاد العراق، ويقال أنهم كانوا يضربون خيامهم في بعض الأحياء أوفي بعض القرى ويضعون فوقها راية تعلن عنهم، فيأتيهم الشباب ليشربوا وليسمعوا بعض القيان ممن يصاحبنهم، وكان من الشباب من يدمن عليها حتى تنفر منهُ قبيلتهُ"[3].

يقول طرفة بن العبد في معلقتِهِ:-

ومـا زال تَـشرَابى الـــخمورَ، ولَـذّتي	وبَيعْـــي وإنفـــاقي طَريفـــي ومُتلَـــدي
إلى أن تحـــامتني العَـــشيرةُ كـلُّـــها	وأفْـــرِدْتُ إفْـــرادُ الـــبَعيرِ المُعَبَّـــدِ

(1) الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية: 71.

(2) جمهرة أشعار العرب، للقرشي: 128.

(3) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): 70.

ولولا ثلاثٌ هُنّ مِنْ عِيشةِ الفتى وجَدِّكَ لم أحْفَلْ متى قامَ عُوَّدي

فَمِنهُنّ سَبْقي العاذِلاتِ بِشَرْبَةٍ كُمَيْتٍ متى ما تُعْلَ بالماءِ تُزْبِدِ

وكَرِّي، إذا نادى المُضافُ مُحنَّباً كَسِيدِ الغَضا نبَّهْتَهُ المُتَوَرِّدِ

وتقيصرُ يوم الدَّجْن والدَّجْنُ مُعْجِبٌ بِبَهْكنَةٍ تحتَ الرّافِ المعَمَّدِ[1]

وواضحٌ أنهُ يجعل من خلال الفتى هذهِ الخصال الثلاث، وهي الخمر والفروسية أوالشجاعة في الحرب والتمتع بالنساء، على أن هذهِ الفتوة التي يصورها طرفة كانت تتسامى عند كثير من فرسانهم مثل عنترة بل حتى من صعاليكهم مثل عروة أبن الورد، ومهما يكن فقد كانت " الخمر وما يتبعها من إستباحة النساء شائعة في هذا العصر، وكان يشيع معها القمار أوالميسر وكانت عادتهم فيه أن يذبحوا ناقةً أوبعيراً، ويقسموا ما يذبحونه عشرة أجزاء، ثم يأتوا بأحد عشر قدحاً، يجرون عليها قمارهم، وكانوا يجعلون لسبعة منها نصيباً إن فازت، وعلى أصحابها غُرْمٌ إن خابت، وأكبرها نصيباً يسمى المُعَلَّى، أما الأربعة الباقية فلاحظٌ لها حتى إن فازت"[2].

وأكبر الدلالة على شيوع هذه الآفات بينهم الآيات الكثيرة التي هاجمتها في القرآن الكريم وما وضعه الإسلام لها من عقاب صارم حتى يكف الحرب عنها، وقد شدد في عقوبة إستباحة النساء، وأكثر من النهي عن الخمر والميسر من مثل قولِهِ تعإلى:-

- ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [3]. - وقال تعإلى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ

---

(1)ديوان طرفة بن العَبْد: 33.

(2) تأريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): 71.

(3) البقرة: 219.

عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[1].

ومن ثم جاءت فيهما قوله " أنما الخمر والميسر.. وحسن من عمل الشيطان فأجتنبوه"[1]. ونجد في الحديث النبوي نهياً كثيراً عنها وأن الله لعنها ولعن عاصرها ومعتصرها وشاربها[2]، وقد جعل لها الرسول (صلى الله عليه وسلم) حداً: أربعين جلدة، ولما وجد عمر أن بعض العرب لايزال يتورط في شربها رفع حدها إلى ثمانين.

وهذا كله يشهد شهادة قاطعة بإنتشار هذه الآفات بين عرب الجاهلية، وفي أخبار الأعشى أنهُ لما سمع (بالرسول صلى الله عليه وسلم) رغب في الوفود عليه بالمدنية ومديحهِ، وعلمت قريش فتعرضت له تمنعهُ، وكان مما قالَهُ لـه أبوسفيان إنـهُ " ينهاك عن خِلال كلها بك رافق ولك موافق"، فلما سأله عنها أجابه: (الزنا والقمار والخمر) فعدل الأعشى عن وجهتهِ[3].

(1) المائدة: 90 – 91.

(2) ينظر: سنن النسائي، وصحيح البخاري.

(3) الأغاني، للاصفهاني: 9/ 126.

المبحث الثالث

(أدوات الفروسية)

طبيعة الصحراء كانت لها الأثر الواضح لحياة العرب في الجاهلية، فأصبح الغزوعنصر رئيسي للبقاء في دائرة الحياة الجاهلية، كما هوالدفاع عن النفس، ولعل الغزوواهجوم وسيلتان للنجاة من العدوالمتربص المباغت، فإذا لم تُغزُ تُغزى، إذا لم تُظلِم تُظلَم، وهذا منطق الحياة الجاهلية عبر عنهُ زهير بن أبي سلمى[1]، بقولِهِ:-

ومَن لا يَذُد، عن حَوْضِه، بسلاحِهِ يُهَدَّم، ومَن لا يَظْلِمِ الناسَ يُظْلَمِ

ويعتبر الغزو" من أهم موارد الرزق عند الأعراب، لا سيما في سني إنحباس السماء وإنقطاع الغيث وغضب السماء على الأرض[2]، ويعتبر الخيل والسلاح من الأدوات الأساسية التي آستخدمها الفرسان في غزواتهم وغاراتهم وحروبهم في الجاهلية.

ونظراً لسرعة الخيل وخفتها في الكر والفر، " صارت أهم سلاح لنجاح الغزووإلحاق الأذى بالعدو، يغير عليها المغير فيباغت خصمه بهجوم سريع خاطف، فيربكه، لهذا أخذت القبائل تشتري الخيل وتعتني بها للمحافظة على حياتها في الدفاع والهجوم، وعدت القبائل القوية، وهي التي تملك عدداً كبيراً من الخيل، وبفضل الخيل ظهر الأبطال الفرسان، فالجمل ثقيل الحركة بطيء السير بالنسبة إلى الفرس، ولهذا قل إستخدام الجمل في أثناء الغارات والغزوات"[3].ولم تعن بالخيل أمة من أمم مثلما عنى بها العرب، ولم يقدس فارسُ كالعربي فرسه، ولعل هذا القول يخلوا من أية مبالغةِ، إذا تتبعنا صورة الخيل عند العرب في العصر الجاهلي، يقول طفيل الغنوي[4]:-

---

(1) ديوان زهير بن أبي سلمى: 35.

(2) تأريخ العرب قبل الاسلام: 5 / 333.

(3) المصدر نفسه: 4 / 200.

(4) وهو طفيل بن عوف بن ضبيس، ديوانه: 312.

إنـــي وإن قـــل مـــالي لا يفـــارقني مثـــل النعامـــة في أوصـــالها طـــول

فظلا عن أن الخيل، حامي حمي القبيلة، فقـد إسـتخدمت الخيـل أيـضا وسـيلة مـن وسائل الإتصال، وقد ذكرت خيل البريد عند بعض الشعراء، ومثـال ذلـك مـا نجـده عنـد إمرئ القيس، حين يقول[1]:-

على كـل مقـصوص الـذنابي معـاود بريـد الـسرى بالليـل مـن خيـل بربـرا

إذا زعتـــه مـــن جانبيـــه كلـــيهما مـشى الهيـدبيي في دفـــه ثـــم فرفـــرا

وأكثروا من الحديث عنها وعن الجراح التي تصيبها مـن رمـاح الأعـداء وسـيوفهم، وإفتخروا بثباتهم عليها في اللقاء وهجومهم بها على الأعداء ومن أبـدع مـا قيـل في ذلـك قول عنترة بن شداد[2] في معلقاته:-

لمـــا رأيـــت القـــوم أقبـــل جمعهـــم يتـــذامرون كـــررت غـــــير مـــذمم

يـــدعون عـــنترة والرمـــاح كأنهـــا أشـــطان بئـــر في لـــبان الأدهـــم

مازلـــت أرمـــيهم بثغـــرة نحـــره ولبانـــه حتـــى تـــسر بـــل بالـــدم

فـــإزور مـــن وقـــع القنابلبـــانـــه وشـــكا إلـــي بعـــبرة وتحـــمحم

ولوكـان يـدري مـا المحـاورة إشـتكى ولكـــان لـــوعلم الكـــلام مكلمـــي

وكان العرب يسقون الخيل البن في الصيف، ويربطونها بفناء البيـت، لتكـون قريبـة منهم، ويدفؤنها في الشتاء، يقول عنترة بن شداد[3] في فرسية (جروة):-

ومـــن يـــك ســـائلاً عـــني فـــإني وجـــــروة لا تـــــرود ولا تعـــــار

مقربـــــة الـــــشتاء ولا تـــــراها وراء الحـــــي يتبعهـــــا المـــــهار

---

(1)ديوان أمرئ القيس: 96.

(2)ديوان عنترة بن شداد:24.

(3)المصدر نفسه: 110.

لهـــا بالـــصيف أصـــبرةٌ وجـــل وســـت في كرائمهـــا غـــزارُ

يقول عنترة بأن فرسه وفي له حين تتأزم الأمور، وتحيط بـه الـشدائد ويقيـه في شـدة الحرب، مـن الرمـاح والـسيوف والـسهام، ولـذا فـإن عـنترة بـن شـداد[1] لا ينـسى هـذا الإحسان، فيجازيه بالدفء في الشتاء وباللبن عندما يعز على الرعاء، فيقول:

جـــزى الله الأغـــز جـــزاء صـــدق إذا مـــا أوقـــدت نـــار الحـــروب

يقـــيني بـــالجبين ومنـــكبيـــه وأنـــصرهُ بمطـــرد الكـعـــوبِ

وأدفئـــهُ إذا هبـــت شمـــالا بلـــيلاً حرْجفـــا بعـــد الجـــنوبِ

أراه أهـــل ذلـــك حـــين يـــسعى رعـــاء الحـــي في طلـــب الحلـــوبِ

ويذكر الأعشى الكبير[2] الخيل التي تعلف وتطعـم الـشعير، وتجلـل بـالرداء ويهـتم الرواة بها، يقول مادحاً هوذة بن علي الحنفي:-

جيـــادك في الـــصيف في نعمـــة تـــصان الجـــلال وتعطـــى الـــشعيرا

ينـــازعن أرســـانهن الـــرواة شـــعثا إذا مـــا علـــون الثـــغورا

وكان عدي بن زيد[3] يسقى فرسه اللبن، ويجلله بالرداء، يقول:-

كربيـــب البيـــت يفـــري جلـــه طاعـــة العـــض وتـــسحير اللـــبن

وكما تجلل الخيل في الشتاء، تجلل في الصيف أيـضاً بـرداءٍ يقيهـا شـدة الحـر، يقـول نابغة الذبياني[4]:-

---

(1) ديوان عنترة بن شداد: 40.

(2) ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بنضبيعة بن قـيس بـن ثعلبـة ويكنـى بأبـا بصير، توفي حوالي(7هـ)، ديوانه: 99.

(3) هوأبوامامة زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني، ولقب بالنابغة لانه نبغ في قول الشعر، ديوانه: 238.

(4) ديوان عدي بن زيد: 174.

يغــير علــى العــدوبكل طــرف   وســــلهبة تجلــــل في الــــسمامِ

ويتحدث الأعشى عن النعمان بن المنذر مادحاً إياه، مصوراً رعايته لخيلـه، إهتمامـه بها من الطعام والكساء، يقول[1]

ويــأمر لليحمــوم كــل عــشية   بُقــت وتعلِــق وقــد كــاد يــسنق

يعــإلى عليــه الجــل كــل عــشية   ويرفــع نقــلا بالــضحى ويُعَــرّقُ

وبالمقابل فإن عنترة بن شداد يهجومن يجوع خيله ويأثر نفسه بالشبع، فيقول[2]:

أبــني زبيبــة، مــا لمهــركم   مــــتخددا وبطــونكم عــجرُ

ألكـــم بـــالآء الوشـــيج إذا   مـــر ألـــشياه بوقعـــه خـــبرُ

إذ لا تـــزال لكـــم مـــغر غـــرةٌ   تغلـــي وأعلـــى لونهـــا صـــهر

لمــا عــدوا وغــدت ســطيحتهم   مـــلأي وبطـــنُ جـــوادهم صِـــفرُ

وحين يسقط الفرس، لانجد إلا الفارس باكيا عليه، يسترجع أيامـه معـه، وذكرياتـه، يقول السليك بن السلكة يرثي فرسه النحام[3]:-

كـــأن قـــوائم النـــحام لمـــا   تحمـــل صـــحبتي أصـــــلا محـــارُ

علـــى قرمـــاء عـــالية شـــواه   كـــأن بيـــاض غرتـــه خمـــــارُ

ومايـــدريك مـــا فقـــري إليـــه   إذا مـــا القـــوم ولـــوا أوأغـــاروا

ويحـضر فـوق جهـد الحـضر نـصا   يـــصـــيدك قـــافلاَ والمـــخ زارُ

(1)ديوان الأعشى: 219.

(2)ديوان عنترة بن شداد: 164.

(3) الكامل في اللغة والأدب: 53.

فالعرب في الجاهلية لا يريد أن يدخر شيئا سوى الفرس والرمح وسلاح الحرب فقط، أما المال فإنه يذهب، يقول حاتم الطائي[1] رداً لوم زوجته، بسبب إنفاق ماله:-

يقولون لي أهلكت مالك فإقتصد ... وما كنت، لولا ما يقولون، سيدا

سأدخر من مالي دلاصاً وسابحاً ... وأسمر خطيا وعضبا مُهَنّدا

وذلك يكفيني من المال كله ... مصوناً، إذا ما كان عندي مُتلدا

فها هو(عروة بن الورد) [2] يقلل من قيمة ثروته في عين من يطمع بإرثه، ولذا فهويحدد ثروته الفعلية بأدوات الحرب، ولا عجب في ذلك لأن هذه الأدوات كانت سبيله إلى جني الثروات الكثيرة التي نالها، وهويقول:-

وذي أملٍ يرجوتراثي، وإن ما ... يصير له منه غداً لقليلُ

ومالي مالُ غيرُ درع ومغفرٍ ... وأبيض من ماء الحديد صقيلُ

وأسمر، خطي القناةِ، مثقف ... وأجرد عريان السراة، طويل

فهويذكر أنه لن يخلف لورثته بعد موته سوى درع ومغفر وسيف ورمح وجواد، " فكانت ثروة العربي هي شهرته وعائلته وحصانه وأسلحته"[3] والشهرة والعائلة، تفقدان إذا ما صانهما بحصانه وأسلحته.

أما السلاح فلقد إعتادوا على إستخدامها بأنواعها المختلفة من السيف والرمح والسهم والقوس مبرزين بطولاتهم من خلال حسن أستخدامهم له، وكان العربي يزهوبما عده للحرب من أنواع الأسلحة، فبرزت صفات هذه الأسلحة واضحةَ في قصائدهم:-

(1) ديوان حاتم الطائي: 231.

(2) ديوان عروة بن الورد: 227.

(3) تقاليد الفروسية عند العرب، واصف بطرس غالي: 50.

(1) السيفُ:- وهوالذي يضرب به معروف، والجمع أسْيافٌ وسُيُوفٌ وأسْيُفٌ، وأنشد الأزهري في جمع أسْيُفِ[1]:-

كـــأنهم أسْـــيُفٌ بـــيضٌ يمانيـــة ‏ ‏ ‏ عـــضب مـــضاربها بـــاقٍ بهـــا الأثـــرُ

وعرف السيف كأداة أساسية للدفاع عن النفس والقتال، وحمل أسماء كثيرة ترد في كتب اللغة، بعضها أسماء وبعضها (نعوت) وصفات صارت في منزلة الأسماء للسيف، ومن أسمائها، الحسام والصمام والمهند والصارم والفيصل والبتار، يعتبر السيف أرث الفروسية والنبل والقيم ويعتبر أشرف أسلحةِ لديهم، وأكبر مثير للذكريات والأنتصارات وأحاديث الحسان والفرسان[2]، "وقالوا أنهم أستوردوها من بلاد الهند[3]" ، ويقول عنترة بن شداد[4] في معلقته:-

ولقـــد ذكرتـــك والرمـــاح نواهـــل ‏ ‏ ‏ مـــني وبـــيض الهنـــد تقطـــر مـــن دمـــي

فـــوددت تقبيـــل الـــسيوف لأنـــها ‏ ‏ ‏ لـــــمعت كـــــبارق ثغـــرك المبتـــسم

وقد أشتهرت أنواع من السيوف عند العرب، تفارخروا بها، لجودتها وشدة وقعها في العدو، "ومن هذه السيوف المشهورة: (السيوف المشرفية) قيل: أنها سميت بذللك نسبة إلى (المشارف) جمع مشرف، ويراود بها ترى للعرب تدنومن الريف، وقيل: لأنها من مشارف الشام، وقيل: نسبة إلى موضع من اليمن، وقيل بل نسبة إلى (مشرف) رجل من ثقيف"[5] و" عرف سيوف (بصري) بالجودة كذلك[6]، و"إشتهرت سيوف السماة

---

(1) لسان العرب: 3/ 2171.

(2) ينظر: (تأريخ العرب قبل الإسلام): 5/ 422.

(3) البطل في التراث، د. نوري حمودي القيسي: 57.

(4)ديوان عنترة بن شداد: 21.

(5) لسان العرب، مادة (شرف).

(6) المفضليات: 19.

بـ(السريجية) بجودتها كذلك، ويقال أنها نسبة إلى (سُريج) رجل من بني أسد[1]"،

وإشتهرت سيوف اليمن كذلك، فقيل للسيف (يمان) و(يماني)، إذ ضح باليمن، والظاهر أنها لماعة بيض[2]." وإشتهرت بعض السيوف في الجاهلية، بقيت شهرتها خالدة في الأسلام، ومن هذه السيوف، سيف عرف بـ (الصمصامة)، وهوسيف عمروبن معد يكرب[3]" ويقول الشنفري في وصف سيفه:-

وأبيض من ماء الحديد مهند ... مجد لأطرف السواعد مقطفُ

ويقول أيضاً:-

فشن عليهم هِزة السيف ثابت ... وصمم فيهم بالحسام المسيبُ

وظلت بفتيان معي أتقيم ... بهن قليلاً ساعة ثم خيبوا[4]

وصار للسيف قيمة جمالية حين رأى المحب في لمعان سيفه، قال (عنترة بن شداد):-

فوددت تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارقِ ثغركِ المبتسمِ[5]

ثم لك أن تتخيل الفارس العربي في صحرائه وحيداً، سارياً في ليلٍ أونهارٍ، معرضاً للمباغتة في أية لحظة في لصٍ أوعدوأوحيوانٍ مفترس، فتتجدد علاقته بسيفه هذا، علاقة وجدانية لا يشاركهما فيها أحد لأن الكل بعيدون حتى الأصحاب والأحباب، علاقة منفردة صميمية حياتية لأنهما بهذه العلاقة وحدها قادران على الحياة، قال (الشنفري) وهويسبغ على سيفه صفة القرين غير المفارق:-

إني كفاني فقد من ليس جازياً ... بنعمى ولا في قربه متعللُ

---

(1) العمدة: 2 / 232.

(2) تأريخ العرب قبل الأسلام: 5 / 423.

(3) العقد الفريد: (1 / 209)، (3 / 370).

(4)الأغاني: (21 / 141).

(5)ديوان عنترة بن شداد: 22.

ثلاثـة أصـحابٍ: فـؤاد مـشيعٌ   وأبـيض إصـليت، وعرفـاء جبـأل[1]

(2) الرمح:- الرمح: من الأسلحة المعروفة، واحد الرِّماح، وجمعه أرماحٌ، قال (طفيل الغنوي):

برماحـة تنفـي الـتراب كأنهـا   هراقـة عـقٌ مـن شعـيبي معجـل

وقيل في تفسيره: رماحةٍ، أي طعنة بالرمح[2]. و" الرمح سلاح يستعمل لطعن العدو، يستعمله الفارس في الغالب، له رأس منبل حاد، يطعن به، وقد يكون له رأس آخر، يثبت في الأرض، وهويختلف طولاً ووزناً، وهومن الأسلحة القديمة"[3]

و" أجود الرماح عند العرب (الرماح الآزنية) أو(الرماح اليزنية)، يقال أنها نسبت إلى (ذي يزن)[4] " و(الرماح الردينية) وهي من الرماح الجيدة المشهورة أيضاً، يقال إنها نسبة إلى (ردينة) أمرأة كانت تعمل الرما ح[5]"

ومن ذللك قول عنترة بن شداد[6]:-

إذا خـصمي تقاضـاني بـدين   قـضيت الـدين بـالرمح الـرديني

ولقد إفتخر العربي بأستخدام الرماح على الرغم من أنها غالباً ما تستخدم عن بعد وليس كالسيوف التي يلتحم مستخدمها بالعدو، ففخروا بمهاراتهم في إستخدامها لما تحتاجه من دقة وسرعة في التسديد وفخروا أيضاً بعدم أخطائهم لهدفهم في التصويب، ومن ذللك قول عمروبن شأس[7]:-

وقـد علمـت بنوأسـدٍ بأنـا   نطـاعن بالرمـاح إذا لقينـا

---

(1)ديوان الشنفري: 19.

(2) لسان العرب، مادة (رمح).

(3) تأريخ العرب قبل الإسلام: 5 / 424.

(4) العقد الفريد: 3 / 370.

(5) بلوغ الإرب: 2/ 64.

(6)ديوان عنترة بن شداد: 263.

(7) الأصمعيات: 42.

ويقول (حاتم الطائي)[1] في وصفه عن الرمح:-

مثقفــات ســلبنَ الـــرومَ زرقتهــا العــرب سمرتهــا والعاشــق القــضف

"وربما زاد الفارس في طول رمحه ليغبر عن فضل قوته، لأنه لا يحمل الـرمح الخطـل منهم إلا الشديد الأيد، والمدل بفـضل قوتـه، الـذي إذا رأه الفـارس في تلـك الهيئـة هابـه وحاد عنه[2]" وإلى ذلك يشير (ربيعة بن مقروم)[3] عندما يمدح قومه:-

طــوال الرمـــاح غـــداة الـــصباح ذوونجــــــدةٍ يمنعـــــون الحريمـــــا

ويقول (طرفة بن العبد) [4] في طول الرماح:-

كــأن رمـــاحهم أشـــطان بئـــر مـــن خلـــب النخلـــة الأجـــرد

ويقول (إمرؤ القيس) [5] من طول الرماح:-

ومطـــــرد كرشـــــاء الحــــزور مـــن خلـــب النخلـــة الأجـــرد

ويقول (إمرؤ القيس) [6] في الرماح الامعة الأسنة:-

دفعـــت ردينيـــاً كـــأن ســـنانه ســـنا لهـــب لم يـــستعر بـــدخان

(3) السهم:- السهم واحد النَّبل، وهومَرْكب النصل والجمع أسْهُمٌ وسهامٌ، والنَّصل السَّهم العريض الطويل يكون قريباً مـن فـيترٍ، والنَّبـل: الـسِّهام، وقيـل: الـسِّهام العربية، وهي مؤنثة لا واحدها مـن لفظهـا، فـلا يقـال نبلـةٌ، وإنمـا يقـال سـهمٌ، ونبال، بالتشديد: صانِعٌ للّنبلِ ويُقال أيضاً: صاحبُ النَّبْلِ، قال إمرؤ القيس[7]:-

---

(1)ديوان حاتم الطائي: 42.

(2) البيان والبتين:3 / 22.

(3) المفضليات: 1 / 181.

(4) ديوان طرفة بن العبد: 18.

(5)ديوان إمرئ القيس: 53.

(6) المصدر نفسه: 61.

(7) لسان العرب، مادة (سَّهم) و(نبل).

ولـيس بـذي رُمْـحٍ فيطعـني بـه ولـيس بـذي سـيف ولـيس بنبـالِ

ويعني ليس بذي نَبْلٍ

وتحفظ السهام والنبال في محفظة، يقال لها(الكنانة)، وأشهرها (الكنائن) المعروفة بـ(الكنائن الزغرية)، وهي مسنوبة إلى (زغر)، موضع بالشام، وقد ذكرها أبوداود الإيادي[1] في شعره:-

ككنانـة الزغـري زينهـا مـن الـذهب الـدلامص

و" قد يكون السهم من غصنٍ أومن خشبٍ، وقد يكون من معدنٍ مثل حديد أونحاس، ويكون له رأس مدبب ليصب به الهدف، وقد يسهم رأس السهم فينفذ السم منه إلى الجرح، فيصب به الجريح إصابة قاتلة"[2].

وقد عدت الرماية من جملة الخصال العالية في الشخص المكملة للإنسان." وقد إشتهر في الجاهلية قوم بدقة رمايتهم، وبصحة أصابتهم للأهداف، إذا أرادوا رمي أحد أخرجوالنبل، فرموه بها، وقلما يخطئون، إذا أرادوا وصف رجل بدقة الرمي، قالوا فيه: (كان من أرمى الناس)"[3]. ومن مشاهير الرماة (عمروبن عبد المسيح الطائي) وكان أرمى العرب، وفيه يقول إمرؤ القيس[4]:

رب رام مـن بـني ثعـل مخـرج كفيـة مـن سـتره

وإشتهر (الفارة) بالرمي، فقيل: أنهم أرمى حي في العرب، ولهم يقال:" قد أنصف القارة من راماها"[5].

(1) بلوغ الإرب:2 / 65.

(2) تأريخ العرب قبل الأسلام:5 / 426.

(3) الأغاني:2 / 18.

(4) العقد الفريد:3 / 400.

(5) المصدر نفسه: 3 / 341.

(4) القوس:- القوس: معروفة، عجمية وعربية، الجوهري: القوس يذكر ويؤنثُ، فمن أنثَ قال في تصغيرها قُوَيسَةٌ، ومن ذكرَ قال قُوَيْسٌ، وفي المثل: هومن خير قُويْسٍ سهماً[1] والقوس هي الآلة تمسك باليد، ويشد ونرها شداً قوياً، ليرمي السهم إلى العدوالمراد رميه، وكلما كان الشد قوياً، صارت الرمية بعيدة ومؤثرة.

وإشتهرت أنواع من القسي، منها: (القسي الماسخية)، نسبة إلى رجلٍ من بني نصر بن الأزد إسمه (ماسخة)[2]، وفي القسي قال الشاعر[3]:-

شرعتُ قسي الماسخي رجالنا   بسهام يثرب أوسهام الوادي

و"القسي هي سلاح الصياد في الجاهلية، فهي بمثابة (البندقية) في هذا اليوم، يأخذها الصياد معه وفي كنائنه، ثم ينتظر، فإذا شاهد صيداً رماه، ولهذا نجد المولعين بالصيد يذكرونها في شعرهم وفي وصفهم لمطاردة الحيوانات"[4].

والرمي بالحجارة والحصى، "سلاح مهم مؤثر في العدوفي ذلك الزمان، فقد كان المحاربون يرمون عدوهم بآلة ما زال الأطفال والفلاحون يستعملونها، يطلقون عليها لفظة (معجان) في العراق"[5].

وقد كان على المحارب التدريب على الرمي وعلى الطعن، ليكون محارباً ناجحاً ذا خبرةٍ في القتال، فلا يتمكن من عدوبسهولة، وفي جملة الوسائل التي كان يتدرب عليها: (الدريئة)، وهي حلقة يتعلم عليها الطعن والرمي.

قال عمروبن معديكرب[6]:-

ظللت كأني للرماح دريئة   أقاتل عن أبناء جرم وفرت

---

(1) لسان العرب، مادة (قوس).

(2) العمدة: 2 / 233.

(3) الإشتقاق: 288.

(4) بلوغ الإرب: 2 / 65.

(5) تأريخ العرب قبل الأسلام:5/ 429.

(6) تاج العروس: 1/ 223.

والدروع من أسلحة الوقاية، يتدرع بها المحارب، ليقي بها نفسهُ من ضربات خصمه، وقد يكون للظهر والصدر، فتحمي ظهر المحارب وصدره، وقد تكون للصدر فقط، فيقي المحارب بالدرع ضربات المحارب من رمح أوسيف، فلا ينال به صدره، ويلبس الدرع كالثوب فيقي الجسم من الضربات، وقد نسبت الدروع الجيدة إلى (داوود) و(سليمان) فورد في شعر للنابغة الذبياني[1] :-

وكل صحوت نثلة تبعية ونسج سليم كل قصاء ذائل

و"الفرسان هم آلة الحرب الحاسمة للحروب، وعليهم يقع معظم ثقل المعارك، وقد كانت معظم معارك الجاهلية معارك فرسان، ويكون المحاربون الآخرون فيها وكأنهم متفرجون، يساهمون في المعركة بأصوات التشجيع والحث على الإستماتة في القتال، وقد يدخل القائد نفسه المعركة ليقاتل خصمه، وللفارس بالطبع منزلة كبيرة في نفوس قومه، لأنه هوالمدافع والمهاجم والآخذ بالثأر[2]، ومن خلال الحياة العربي نرى بأن الظروف القاسية التي مربها في الجاهلية فرضت عليه جعلته أن يكون السلاح عماد حياته، ومحور وجوده.

(1) ينظر: لسان العرب، مادة (درع).

(2) تأريخ العرب قبل الأسلام:1/ 445.

الفصل الثاني

((معاني الفروسية في الشعر الجاهلي))

الفصل الثاني

((معاني الفروسية في الشعر الجاهلي))

من خلال دراستنا لكتب التاريخ نرى بأن شبه الجزيرة العربية في الجاهلية، كان يشبه ساحة حربية كبيرة تتقاتل العشائر والقبائل العربية فيما بينها، فتشهر السيوف وتلمع الرماح ويتصايح الأبطال وتصوب النبال وتُدق الأعناق وتسيل الدماء، وتتخاطف الضباع والذئاب والنسور والعقبان، الأشلاء والمتناثرة في كل مكان، فقد أصبح الحرب والقتال والنزال فريضة الحياة في الجاهلية، وكان لكل قبيلةٍ فرسانها، وهؤلاء الفرسان يدافعون عن قبائلهم ويقودون قبائلهم إلى الغزووالغنائم ويقفون بالمرصاد لكل عدومتربص بها، وتفتخر القبيلة بهم ويتغنى الشعراء ببطولاتهم، وبقوتهم البدنية تستطيع القبيلة شن الغارات، وخوض المعارك وتحقيق النصر، " فإن الحياة الجاهلية كانت تفرض على أبنائها أدب الفروسية، وتقديس البطولة، لما هم عليه من التنافس القبلي ومن التعرض المستمر لأن يكونوا غزاة أومغزوين، مترحلين في طلب الماء والكلأ، متصعلكين مشرودين في البراري المخيفة المقفرة"[1].

والجاهلي يعد الفروسية من الخصال الحميدة، وهي مدافع عن كرامة القبيلة، وبها يتبوأ القبيلة المكانة الإجتماعية العالية بين القبائل الأخرى، ولهذا نرى الشاعر يفخر دائماً بفروسيته، يقول (طرفة بن عبد)[2]:-

وكري إذا نادى المضاف محنباً   كسيد الغضا، نبهته، المتوردِ

---

(1) الشعراء الفرسان: 8.

(2)ديوان طرفة بن العبد: 33.

" فلا عجب أن نراهم يقدسون الفروسية، ويعتبرونها صفة لازمة لشرف السيادة، حتى إذا أجتمع الشعر والفروسية في شخصي واحد فقد بلغ أرفع درجة، وتنظر إليها القبائل بأعظم[1]".

ولهذا كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت قبائلها فهنأتها وصنعت الأطعمة وإجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ويتباشر الرجال والولدان لأنه حماية للأعراضهم وأحسابهم وتخليد لمآثرهم وإشاعة بذكرهم"[2].

فنرى دور الشاعر في القبيلة العربية في العصر الجاهلي مهم جداً، لأنه أشبه ما يكون بجهاز إعلامي ضخم في ذلك الوقت، يذيع بطولات القوم وبسالتهم في الحروب وذودهم عن مقدساتهم.

" فكان أوقع الكلام عندهم هوما صدر عن شاعرٍ فارسٍ تلاقى نفسه على صفاء آلة البيان وآلة الحسام"[3] ، وذهب (د.عفيف عبدالرحمان)[4] إلى أنّ" الشعر الجاهلي كان يمثل فكرة الفن للمجتمع أصدق تمثيل".

فكان الفروسية هي عماد المحافظة على حياة الإنسان العربي في البادية وبالشعر تذيع شجاعة وبطولة الفارس العربي، فالفروسية والشعر شيآن متلازمان بعضهما للبعض ولايمكن التفريق بينهما.

" ففي الأسواق والمواسم تحرص القبيلة على إصطحاب شعرائها، حيث حلقات المفاخرة بين شعراء القبائل، كل يشيد بمناقب قومه وبعدد مآثرهم وينقص من شأن الآخرين"[5] .

---

(1) الشعراء الفرسان: 11.

(2) العمدة: 1 / 37.

(3) العصبية، احسان النص: 161.

(4) الشعر الجاهلي: 30.

(5) معجم البلدان، لياقوت الحموي: 3 / 704.

فقصة (حارث بن حلزة الشكري)[1] ماثلة في أذهاننا عندما أحس بأن (عمروبن هند) ملك المناذرة يحاول الحط من شأن بكر، فإذا الحارث ينبري منشداً معلقته يعدد مآثر قومه ويرد على أدعاءات الخصوم، ويقول بعد المقدمة الطللية:-

وأتانا من الحوادث والأنباءِ خطب نعني به ونساء

إن إخواننا الأراقم يغلونَ علينا في قيلهم إحفاءُ

يخلطون البرئ منا بذي الذنبِ ولا ينفع الخلي الخلاء

لوقمنا بدراسة مستفيضة في النصوص الشعرية الجاهلية، نصل إلى المفاهيم المتداولة لمعاني الفروسية، والتي يتلخص في:-

1- البطولة في الحرب.

2- الشجاعة عند الشدائد.

3- الكرم وتلبية دعوة المستغيث.

وكل هذه المعاني مرتبط بالصفات النبيلة والخصال الحميدة، التي يصف بها الفارس العربي المدافع عن أفراد قبيلتهِ، وكانوا يتناولونه بأساليبهم الخاصة وبنظراتهم المختلفة.

(1) وهوحارث بن حلزة بن مكروه بن بديد بن عبد الله بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن عاصم بن ذبيان بن كنانة، توفي حوالي (52 ق.هـ)، شرح المعلقات السبع:230.

المبحث الأول

البطولة في الحرب

البطل لغةً:- "بَطَلَ الشيء يبطُلُ بطلاً:ذهب باطلاً.... والبطل، الشجاع الذي يبطل جراحته ولا يكترث لها، ولا تكفه عن لجدته"[1].

" فقد سمي البطل بطلاً لأنه يبطل العظائم بسيفه فيبهرجها.... أولأن الأشداء يبطلون عنده، ويقال: الدماء تبطلُ عنده فلا يدرك عنده ثأرٌ"....[2]

" والبطولة: شجاع يبطل جراحته فلا يكترث لها ولا تبطل لجادته، وقد بطل، بالضم، يبطل بطولة وبطالة أي صار شجاعاً وتبطل وجاء أيضاً: البطل الشجاع"[3]

(بطل) الشيء يبطل بُطلاً وبُطُولاً وبُطلاناً بضمهن ذهب ضياعاً وخسراً.

(بَطِلَ) في حديثه يبطلُ بطالةً (هَزَلَ)، (بَطُلَ) الرجل بطالةً وبطولةً صار شجاعاً، (بطَّلَ) تبطيلاً، أي أتبع اللهوواالجهالة.

(تبطَّلَ) الرجل تَشَجَعَ وفعل البطالة وهوأتباع اللهوواالجهالة. (تَبَطَّلَ) القوم بينهم تداولوا الباطل، والباطل ضد الحق وهومالا ثبات له عند الفحص عنه وجمعه (أباطيل).

(البطالة) بالفتح الشجاعة والضم والكسر لغتان.

(البَطَل) بالتحريك الشجاع لأنه يبطل العظائم بسيفه أولأنه تبطل عنده دماء الأقران فلا يدرك عنده من تأرج أبطال. [4]

---

(1) العين: مادة (بَطُلَ).

(2) تهذيب اللغة، لابن منظور: مادة (بَطَلَ).

(3) لسان العرب: مادة (بطل).

(4) البستان، الشيخ عبد الله البستاني:1 / 158.

البطل إصطلاحاً :-

يرتبط معنى البطل إصطلاحاً بمعناه اللغوي إرتباطاً وثيقاً، و" ويتسع حتى يتجاوز الوقوف عند الغلب على الأقران في جانبها الحربي ليشمل البطولة النفسية والخلقية والإجتماعية، ولتدون السجايا الرفيعة والشمائل الأصيلة ومكارم الأخلاق، ذلك أن البطولة بهذا المعنى جزء من تكوين الأنسان والبطل الذي إمتاز على الآخرين بالشجاعة والمثل الرفيعة، يطمع إلى تحقيق البطولة بما يقدمه لمجتمعه ما يتطلع إلى إدراكه من مطامع وأمانٍ، وهومؤمن بأن بطولته تستمد وجودها من مفهوم أســـاســـي واضح، هوالقيام بدور خلاق في سبيل دفع الأمة نحوالحرية والقوة والمجد، والبطولة في الإصطلاح أنواع تتفاوت بتفاوت مستويات الأبطال من حيث العظمة والسمووالإقدام، إذ ليس كل عظيم معدوداً من الأبطال، لأن العظمة قد تعوزها خاصية البطولة في الصميم، وهي خاصية الإيمان بالمثل الأعلى والفداء من أجل مصلحة الأمة"[1] ويجب على البطل أن ينسى مصلحته الشخصية، ويهب لـي مصلحة قومية وهويشعر بنفسه شعور الحياة بالحياة، فيصنع ما يعجز الآخرين عن صنعه.فكان العرب في الجا هلية، مفطورين على القتال، مطبوعين على الحرب وكانت البطولة موزعة عليهم بين كبير وصغير وشيوخ ونساء حتى تكاد القبيلة لم تعرف في بيوتها واحداً لم يجرح أولم يكن ذا صلة قريبة أوبعيدة بيوم من الأيام أووقعة من الوقائع لقد كانوا جميعاً ينهضون بعبء القتال، وقد فهموه أنه جزء من حياتهم الطبيعة ولذلك بات عاراً عندهم أن يموت المرء على فراشه، فإذا عرفنا لهم ذلك لم نعجب (للسموأل) [2] حين قال:-

وما مات منا ميت في فراشه ... ولا طل من حيث كان قتيلُ

تسيل على حد الظبات نفوسنا ... وليست على شيء سواه تسيلُ

(1) البطل في التراث:76.

(2)ديوان السموأل:73.

فصعاليك العرب كانوا يساوون بفروسيتهم وخوارق بطولاتهم شجاعة السراة المغاوير، فلونظرنا إلى زعيم الصعاليك (عروة بن الورد)، إنه ليغروالأغنياء، فيسلب مالهم ليفرقه على جمعه الصعاليك المساكين، وكانوا يعاونون النساء في الحي، فكانوا يفاخرون بصعلكته الحربية فيصف تلألؤ وجهه بنور المحامد وهوفي بهرة أعدائه ينالونه بالزجر من كل جانب ويخشون بإسمه في قربه وأبتعاده، حتى إذا نزلت به المنية تلقاها راضياً.

فمن خلال دراستنا للقصائد الجاهلية نرى بأن البطولة إحتلت رقعة واسعة من الشعر الجاهلي، وإهتم به الشاعر العربي إهتماماً كبيراً، وصوره حسن تصوير، ولم تقتصر حدوده على رصد التفاصيل البطولية في الميدان الحربي، بل تجاوزته لتشمل على دقائقه الإنسانية في حالة السلم أيضاً، وأعتنى الشاعر بالقوى الجسمانية لدى البطل وإمتدت حتى إشتملَ على جوانب القوة الروحية أيضاً.

حيث نرى هيئة البطل وقدراته الجسمانية وشرف الأصل، والمروءة والكرم، والشجاعة والقيادة وخبرة الحرب، والسيادة، تلون قصائدهم، وصار موضوعات رئيسية، تحدثوا عنها أحسن الحديث، وكانوا يصفون أبطالهم بالشدة والشجاعة والبأس، وقوة الساعد، وقوة الشكيمة والحكمة في الكرّ والفرّ، والعفة في تقاسم مغانم الحرب، وكانوا يصفون خيولهم بالسرعة والخفة في الإنقضاض على العدو، كما يصفونها بمتانة الساقين، وطول الذنب، ويشبهونها بالظباء والنعام والعقبان، وكانوا يصفون سلاحهم ويذكرون بلاءهُ في قطع الرؤوس ولمعانه وقدرته على إختراق صدور الأعداء، وكان الحروب الكثيرة التي خاضها العرب، مسرحاً لبطولات الفرسان وإمتحاناً لمواهبهم، وكان له الأثر الفعال في تدريب الفرسان وتقوية سواعدهم.

يقول (الأعشى ميمون) [1] في معلقته يصف نفسه بأنه هومن فوارس يوم (الحنو)، وهويوم مشهورٌ من أيام العرب:-

---

(1) وهوالاعشى ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن مالك، ويكنى أبا بصير، توفي حوالي سنة (7)للهجرة، شرح المعلقات العشر:240.

نحن الفــوارسُ يــوم الحنوضــاحيــة　　　جــنـي فطيمــة لاميــل ولا عـــزلُ[1]

قــالوا الطــراد فقلنــا تلــك عادتنــا　　　أوتــنــــزلون فإنــا مـعـــشر نـــزلُ

قد نخـضب العـير في مكنـون فائلـه　　　وقـد يـشيط علـى أرماحنـا البطـلُ[2]

فها هوعمر بن كلثوم الذي يضرب به المثل في الفتك، "فيقال: أفتك من عمروبن كلثوم لفتكه بعمروبن هند[3]"، يفتخر بنفسه وقومه، ويصف شجاعتهم وأيامهم التي امتلأت بالقتل والدماء، ويقول: -

وأيـــام لـــنا غـــرٌ طـــوالٍ　　　عـــصـينا المـــلك فيهـــا أن نـــدينا

وسيـــد معـــشـر قـــد توجـــوه　　　بتـــاج المـــلك تحمـــي المجرينـــا

تـــركنا الخيـــل عـــاكفة عليـــه　　　مقـلـــدة أعنـــتها صفـونـــا

وأنزلنـــا البيـــوت بـــذي طلـــوحٍ　　　إلى الـــشامات ننفـــي الموعدينـــا

وقـــد هـــرت كـــلاب الحـــي منـــا　　　وشـــذبنـــا قتـــادة مـــن يلينـــا

متـــى ننقـــل إلى قـــومٍ رحـــانا　　　يكونـــوا في اللقـــاء لهـــا طحينـــا

يكـــون ثفالهـــا شـــرقي نجـــدٍ　　　ولهـــوتـــها قـــضـــاعة أجمعينـــا

نزلتـــم منـــزل الأضيـــاف منـــا　　　فأعجلنـــا القـــرى أن تـــشتمونا

قـــريناكـــم فعجلنـــا قـــراكم　　　قُبَيْـــلَ الـــصبح مـــرداة طـــحونا

نَعُـــمُّ أناســـنا ونـــعف عنهـــم　　　ونحـــمل عنـــهم مـــا حملـــونا

---

(1) وهوعمروبن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهيربن جشم بن بكر بن حبيب بن تغلب بن وائل، توفي حوالي سنة(52 هـ)، شرح معلقات العشر:140.

(2) المصدر نفسه:147.

(3) الكامل في اللغة والادب: 1 / 140.

نطاعن ما تراخى الناس عنا ونضرب بالسيوف إذا غُشينا

بسمر من قنا الخطي لُدْنٍ ذوابل أوببيضٍ يختلينا

فمعلقة (عمروبن كلثوم)، تصورلنا الإنسان الجاهلي بأوضاع صوره، وأبرز سماته، وأغر قيمه، وكانت معلقته، تتردد على ألسنة أبناء قومه، لأن ذكرها فخراً لهم، وحفظها أبناء عشيرته كلهم، وكانوا يتداولونها شفاهاً حتى هجوا بذلك.

ويقول (المزرد بن ضرار الذبيان) [1] ويفخر بنفسه فارس ذبيان:-

فقد علمت فتيان ذبيان أنني أنا الفارس الحامي الذمار المقاتل

وأني أرد الكبش والكبش جامع وأرجع رمحي وهوريان ناهل

وعندي إذا الحرب العوان تلقحت وأبدت هواديها الخطوب الزلازلُ

ولوتأملنا إلى قصائد شعراء الصعاليك لرأينا أن أغلب قصائدهم تدورحول شجاعتهم وبطولاتهم في غاراتهم، فها هو(الشنفري) [2] يتحدث عن أحدى غاراتهم ويقول:-

دعيني وقولي بعدما سئت إنني سيغدي بنعشي مرةً فأغيب

خرجنا فلم نعهد وقلت وصاتنا ثمانية ما بعدها متعتبُ

سراحين فتيان كأن وجوههم مصابيحُ أولونٌ من الماءِ مذهبُ

نمر برهوالماء صفحاً وقد طوت ثمائلنا، والزاد ظن مغيبُ

ثلاثاً على الأقدام حتى سمابنا على العوص شعشاعُ من القوم محربُ

(1) (المزرِّد بن ضرار الذبياني)، يزيد بن ضرار بن حرملة بن صيفي بن أصرم بن إياس بن عبد غنم بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، الذبياني الغطفاني، شاعر فارس مشهور، أدرك الإسلام فأسلم، (المفضليات: 75).

(2) الأغاني:18 / 215.

ثم يصور المعركة التي دارت قبل الفجر، في ظلام الهزيع الأخير في الليل.

فثاروا إلينا في السواد فهجهجوا ... وصوت فينا بالصباح المثوب

فشنَّ عليهم هزة السيف ثابت ... وصمم فيهم بالحسام المسيب

وظلت بفتيان معي أتقيهم ... بهن قليلاً ساعةً ثم خيبوا

وقد خر منهم راجلان وفارس ... كمي صرعناه وخوم مسلب

يشن إليه كل ريعٍ وقلعة ... ثمانيةً، والقوم رجل ومقنب

فلما رآنا قومنا قيل أفلحوا ... فقلنا أسألوا عن قائلٍ لا يكذبُ

وكانوا يعرفون شدة الحروب التي يغوضونها، حيث وصف (عنترة بن شداد) الحرب، فقال:" أولها شكوى، وأوسطُها نجوى، وآخرها بلوى"[1] ويقول إمرؤ القيس[2] عن الحرب:-

الحرب أول ما تكون فتية ... تبدوبزينتها لكل جهول

حتى إذا حميت وشب ضرامها ... عادت عجوزاً غير ذات حليل

شمطاء جزت رأسها وتنكرت ... مكروهة للشم والتقبيل[3]

وعند حديث شعراء الفرسان عن مغامراتهم وخاصةً شعراء الصعاليك نراهم يلجأون على الحديث عن سرعة عدوهم ويبدوا أن مرد ذلك يعود إلى شيئين[4]:-

1- شعورهم بأنها ميزة تنفردوا بها من بين إخوانهم في البشرية.

2- إيمانهم بأنها من الأسباب الأساسية لنجاتهم في كثير من المآزق الحرجة.

---

(1) العقد الفريد: 1 / 94.

(2) ديوان إمرئ القيس: 149.

(3) شمطاء: التي خالط شعرها بياض الشيب.

(4) ينظر، الشعراء الصعاليك، د.يوسف خلف: 213.

ويتحدث الصعاليك العداء ون عن هذه الميزة حديث المعجبين بأنفسهم الذين يرون أنهم قادرون على شيئ يعجز عنه بعض الناس.

فقد كان عماد الفرسان في حروبهم، قوتهم الجسدية وسلاحهم الذي يحارب به، وجماعته الذين يأوي إليهم، وكانوا يقاتلون بضراوة، قتال المستميت، لأنه إن لم يدافع عن نفسه، هلك، و" نظراً لفقر أكثريتهم، وعدم وجود مالٍ لديهم يكفل لهم شراء فرس يركبونها في غاراتهم، إعتمد أكثرهم على أرجلهم في طلب رزقهم، وفي الحصول على معاشهم، وعلى خفة حركاتهم، وسرعتهم في الهروب، وكان من بينهم من ضرب به المثل في زمانه في شدة العدو، وفي سرعة الركض"[1] وهذا تأبط شراً يوصف بأنه "كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة، فكان ينظر إلى الضباء، فينتقي على نظره أسمنها، ثم يجري خلفه، فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه، ثم يشويه فيأكله"[2]

وهويقول:-

أجاري ظلال الطير لوفات واحد ولوصدقوا قالوا بلى أنت أسرع[3]

فهويريد أن يجاري الطير ويسابقها في السرعة وفي ذلك كناية عن شدة بأسه في الجري.

ويقص علينا (تأبط شراً) [4] في قافيته المشهورة كيف أنجاه عدوه من عدوه، رغم ما أرسلوه خلفه من خيلٍ سريعة:

ليلة صاحوا وأغروا بي سراعهم بالعيكتين لدى معدى أبن براق[5]

---

(1) تأريخ العرب قبل الإسلام: 9 / 610.

(2) الأغاني: 18 / 210.

(3)ديوان تأبط شراً:36.

(4) المصدر نفسه:41.

(5) العيكتان: جبلان معروفان.

كأنما حثحثوا حصاً قوادمه أوأم خشف بذي شث وطباق[1]

لا شيء أسرع مني، ليس ذا عذر وذا جناح بجنب الريد خفاق

حتى نجوت ولما ينزعوا سلبي بواله من قبيض الشد غيداق[2]

وأنشد (تأبط شراً) [3] مادحاً إبن عمه (شمس بن مالك)، ويصفه بأنه سريع العدويسبق الريح:-

ويسبق وفد الريح من حيث ينتمي بمنخرقٍ من شده المتدارك

ومما يتصل بهذا حديثهم عن نعالهم، ووصفها بأنها بالية مغرقة، لكثرة سيرهم وعدوهم، فها هو(الشنفري) [4] يصف نعليه بأنهما محزقتان كأنهما أشلاء السماني، وبأنه خلعهما في بعض طريقه إماليسهل عليه عدوه، وإما لأنهما لم تعودا صالحتين للإستعمال لتمزقهما الشديد:-

ونعل كأشلاءِ السحاني تركتها على جنب مور كالنميزة أغبرا

وكذلك كانوا يصفون قوة بنيانهم وضخامتهم بهيئة الأسد، يقول (زهير بن أبى سلمى) [5] في ذلك:-

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ما كذب الليث عن أقرانه صدقا

وبهذه الهيئة تصور الشاعر (السموأل) [6] فرسان كتيبته في قومه معبراً بذلك عن مدى إعجابه بهم:-

---

(1) خشف: ولد الظبية.

(2) الغيداق: الواسع الكثير.

(3)ديوان تأبط شراً:44.

(4)ديوان الشنفري:35.

(5) ديوان زهير بن أبى سلمى: 38

(6) ديوان السموأل:103.

أكنافهـــا كـــل فـــارس بطـــل   أغلـــب كالليـــث عاديـــاً حَرِبـــا

ويصف الشاعر الأبطال بأنهم أقوياء وليسوا عاجزين عن القتال يقول (تأبط شراً) [(1)]:-

ومـا ولـدت أمـي مـن القـوم عـاجزاً   ولا كـان ريـشي مـن ذنـابي ولا لغـبِ

وإلى جانب هذه الصفات وغيرها فأن لتجارب الحروب القاسية أثارها في الهيئة والجسم ومن ذلك ما أورده (عمروبن معد يكرب) [(2)] قائلاً:-

أعـــاذل إنمـــا أفـــني شـــبابي   ركـــوبي في الـــصريخ إلى المنـــادي

مـع الفتيـان حتـى سـل جـسمي   وأقـــرح عاتـــقي حـــمل النجـــاد

وكانوا يعبرون عن قدراتهم في إستخدام السلاح وتصويب الرمي ودراية القتال، وفي ذلك يقول (عمروبن كلثوم) [(3)] في معلقته:-

كـــأن سيـــوفنا فيـــنا وفـــيهم   مخـــاريق بأيـــــدي لاعبيـــــنا

كـــأن ثيـــابنا مـــنا ومنـــــهم   خـــضبن بـــأرجوانٍ أوطلـــــينا

ويزخر الشعر العربي الجاهلي وكما قلنا، بصور كثيرة ومتنوعة من البطولة والإستبسال والفداء، تعكس في مجملها صورة الإنسان العربي المقاتل، وما عرف به من قوة الشكيمة والسبالة في مقارعة الأعداء، فكانوا يضعون أرواحهم فوق راحاتهم من أجل الذود عن عرضهم وكرامتهم، ودفاعاً عن شرف قبيلتهم. وجسدت تلك الملاحم البطولية صوراً فريدة للشجاعة، تمثلت بقوة الإرادة، والصبر على لقاء الأعداء ومقارعتهم، والإقرار بقوة خصمه وشجاعته، وإعترافه بثباته في النزال، ومن الملامح

---

(1)ديوان تأبط شراً:20.

(2)ديوان عمروبن معد يكرب:61.

(3) شرح معلقات العشر:150.

البطولية الشامخة التي رصدها الشعر الجاهلي ما صوره الشاعر العربي (عبد الشارق الجهمني)[1] في قصيدته الحماسة التي مطلعها:-

ألا حييـــت عنـــا ياردينـــا　　　نحييهـــا وإن كرمـــت علينـــا

فأشار الشاعر في هذه القصيدة إلى إستعداد قومه لملاقاة خصومهم، والتهيؤ للنزال، والتمهيد للمعركة ببث الطلائع وإستشراف العيون، تأهباً للمبارزة، ثم التعبئة للإلتحام العنيف، ذلك الإلتحام الذي نجم عنه أفناء النبال، وتعطيل القسي لإنقطاع الأوتار، ثم يصور بدقة تلاقي الخصمين وجهاً لوجه بعنف وشجاعة متناهية كما يحدث الآن في معارك السلاح الأبيض:

فلـــما أن تـواقـــفنا قليـــلاً　　　أنـــخنا للكلاكـــل فأرتمـــينا

فلمـــا لم نـــدع قوســـاً وسهمـــاً　　　مـــشينا نحـــوهم ومـــشوا إلـــينا

تلألـــؤ مزنـــة برقـــت لأخـــرى　　　إذا حجلـــوا بأســـياف رديـــنا

ثم مالبث الشاعر عقب ذلك التلاحم البطولية الذي صوره بدقة، يخبرنا بنتائجه بعد أن وصف بإمعان بعض جوانب تلك المعركة الملتهبة، وهنا نرى صدق الشاعر في تصويره لأحداث هذه الموقعة، وتسجيل جزئياتها:-

شـــددنا شـــدة فقتلـــت مـــنهم　　　ثـلاثـــة فتـــية وقتلـــت قبنـــا

وشـــدوا شـــدة أخـــرى فجـــروا　　　بـــأرجل مثلـــهم ورمـــوا جوينـــا

وكـــان أخـــي جـــوين ذا حفـــاظ　　　وكـــان القتـــل للفتيـــان زينـــا

فآبـــوا بـالرمـــاح مكـــسرات　　　وأبنـــا بالـــسيوف قـــد إنحـــنينا

(3) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي:1 / 447.

ويظهر في البيت الأخير أنصاف الشاعر لخصمه، وتأكيد بسالتهم في اللقاء، حتى لقد أنصرفوا من حومة الوغى وقد تكسرت رماحهم بعد أن تثنت سيوف قومه لمقارعتها سيوف الأعداء ودروعهم وقت الحرب.

ثم يختتم شاعرنا قصيدته الحماسية هذه بتصوير مالاقاه الطرفان من الجهد، فيقول:-

فباتوا بالصعيد لهم أحاح ولوخفت لنا الكلمى سرينا

وهذه صور مشرقةٌ للفارس العربي الشهم، فهويظهر قوته مع عمق إنسانيته ونبل أخلاقه، والدليل هوصدق تعبيره والإعتراف بقوة إرادة خصمه وحسن بلائه في ساحة القتال.

وقد إفتخر الشعراء الفرسان في الجاهلية بقدرتهم على قيادة الحروب ووصفوا دورهم القتالي في المعارك، وكان صفة قيادة الحروب وخبرة القتال من شيم الأبطال من الفرسان ونلاحظ هذه الصفات الفذة في أشعارهم، يقول (عنترة بن شداد) [1]:-

وسريت في وعث الظلام أقودهم حتى رأيت الشمس زال ضحاها

ويكون هذا الوصف غير مباشر كقول(زهير بن أبى سلمى) [2]:-

القائد الخيل منكوباً دوابرها قد أحكمت حكمات القد والأبقا

قد جعل المبتغون الخير في هرمٍ والسائلون إلى أبوابه طرقًا

فكان دور الفارس البطل القيادي في الحرب يتميز بالحكمة والحزم ونفاذ الرؤيا في وضع خطة المعركة وإختيار لحظة الهجوم المناسبة، وتوجيه الرجال بما يتوافق ومقتضيات الموقف قبل المعركة وفي أثنائها، وإعتماد أسلوب القتال الملائم لدحر العدووأيقاع الهزيمة به.

قال (عنترة بن شداد) [3]:-

وصحابة شم الأنوف بعثتهم ليلاً وقد مال الكرى بطلاها

(1) ديوان عنترة بن شداد:70.

(2)ديوان زهير بن أبى سلمى:38.

(3) ديوان عنترة بن شداد:70.

وسـريت في وعـث الظـلام أقـودهم حتـى رأيـت الـشمس زال ضـحاها

ولـقـيـت في قبـل الهجـير كتيبـةً فـطـعـنـت أول فـارسٍ أولاهـا

وضـربت قرنـي كبـشها فتجـدلا وحملـت مهـري وسـطها فمـضاها

حتـى رأيـت الخيـل بعـد سوادهـا حمـر الجـلود خـضبن مـن جرحاهـا

وكذلك ذكروا في أشعارهم قدرتهم على التنظيم والتعبئة والهجوم، فمثلاً عمـروبن كلثوم[1] في معلقته يشير إلى تقسيم المحاربين إلى ميمنة وميسرة:

وكنـا الأيمـنين إذا التقينـا وكـان الأيـسرين بنوأبينـا

ولقد إحتل عنصر السيادة حيزاً واسعاً في أشعار العرب منذ العصر الجاهلي، ومفهـوم السيادة هي" قدرة الإمتلاك الفعلي لمقاليد أمور الجماعة، أكانت عـشيرة أم قبيلـة، في مجـلات حياتهـا المختلفة[2]، وتستكمل السيادة سائر معاني الفروسية الأخرى من شجاعة ومرؤءة وكـرم والبطولـة، والشاعر العربي حرص على السيادة لمالها من أهمية في رفـع الـشأن مما دعاهـا للسعي وراء أهـل العقل والحكمة والخلق الحسن، فجهل القائد ينعكس علـى قومـه بالـضعف والإنحطـاط فالـشاعر (الأفوه الأودى) [3] يرسم صورة القائد ويقول:-

لا يصلح الناس فوضـى لأسـراة لهـم ولا سـراة إذا جهـا لهـم سـادوا

والفارس العربي يتباهى ببطولتـه حـين يقـول أنـه يـسيروا بظعينـة منفـرداً بالقفـار" والدفاع عن الضعيفة، يعني الدفاع عن المرأة التي كلف بحمايتها وسط صحراء لا تـرحم"[4] لايخشى أن يغلبه عليها أحد،" فكان من مفاخر العرب حماية النـساء، ودفـع الغـزاة عـنهن،

---

(1) شرح معلقات السبع:189.

(2) ينظر: البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام، (رسالة ماجستير)، مؤيد محمد صالح اليوزبكي: 170.

(3) وهوصلاءة بن عمروبن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود بن الصعب بن سعد، توفي حوالي سنة (570م)، االأغاني: 8/ 102.

(4) دراسات في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي:103.

لأن المرأة في البادية متعرضة أبداً للسبي والعار، سواء كانت مقيمة في الحي أوظاعنة في القفر، والحظر على الظعائن أشد منه على المتخلفات في الأحياء، لأن لصوص العرب وغزاتهم يطردون الركبان حتى إذا أنفردوا بظعينة قل حراسها وضعف حاميها، إنقظوا عليهم فبددوهم عنها، ويستاقونها غنيمة، وكان (ربيعة بن مقروم)[1] من أولئك الفرسان الذين يعتزون بأنفسهم، ينفردون بظعينتهم لا يبالون شذاذ الطرق وسلابها ولا يخشون فارساً مغيراً يغلبهم عليها ويطلق الرواة على ربيعة لقب (حامي الضعينة)، وهي المرأة التي ترحل في هودجها، وهويقول:-

إن كان ينفعك اليقين فسائلي ... عيني الظعينة يوم وادي الأخرَم

إذ هي لأول من أتاها نهبةٌ ... لولا طعان ربيعة بن مكرم

إذ قال لي أدنى الفوارس ميتةً: ... خل الظعينة طائعاً، لا تندمِ

فصرفت راحلة الظعينة نحوه ... عمداً ليعلم بعض مالم يعلم

وهتكت بالرمح الطويل إهابه ... فهوى صريعاً لليدين وللفم

ومنحت آخر بعده جياشةً ... نجلاء، فاغرة كشدق الأضجم

ولقد شفعتها بآخر ثالثٍ ... وأبى الفرار لي الغداة تكرمي

وحماية الفرسان لنساء العشيرة، دفاع عن العرض الذي يشكل نقاؤه جزءاً جوهرياً من شموخ الفرسان وكبريائه ومروءته، قال (المثقب العبدي):-

نعد لأيام الحفاظ مكارماً ... فعالاً وأعراضاً صحيحاً أديمها

وهم أيضاً محافظون ومدافعون عن الجار فكان الإعتداء على الجار مثيراً لحفيظتهم كأنه إعتداء عليهم ولذا مدحوا بالذب عن الجار، فقالوا: " فلان منيع الجار حامي الذمار".

---

(1) هو(ربيعة بن مقروم) بن قيس بن جابر بن خالد بن عمروبن غيظ بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أدبن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار، أسلم وحسن إسلامه(المفضليات:180).

إعتدى قوم من سحمة في الجاهلية على جار الأسد بن كرز فأوقع بهم وأفتخر بحماية جاره:-

وما جار بيتي بالذليل فترتجي ظلا متة يوماً ولا المتهصم

" وحرر (عنترة بن شداد) من عبوديته لأنه إسترجع نساء قومه من أيدي الخصوم، وأنقذهن من السبي والفضيحة والهوان"[1]. ولقد كان الفرسان يفخرون بأن أمهاتهم أحرار نسيبات لاسبايا، فإذا كانت الأم أمة فأنه يفخر بما يعوض نقصه، فمثلاً كانت أم (عنترة بن شداد) [2] حبشية سوداء فأكثر من الأفتخار بشجاعته، بدلاً من إفتخاره بأمه وأخواله في مجال الفخر بأبيه:-

إني أمرؤ من خير عبس منصباً شطري، وأحمى سائري بالمنصلِ

وقال[3]:-

إن كنت في عدد العبيد فهمتي فوق الثريا والسماك الأعزل

أوأنكرت فرسان عبس نسبتي فسنان رمحي والحسام يقرلي

وبذا بلي ومهندي نلت العلى لا بالقرابة والعديد والأجزل

والفرسان يحققون شرف الأصالة في ذاتهم من خلال التواصل الفعلي مع إرث القبيلة من الفضائل السامية، فهم يحمون حماها ويستجيبون لحاجاتها، وإلى ذلك أشار عامر بن الطفيل[4] فقال:

---

(1) دراسات في الشعر الجاهلي:12.

(2) ديوان عنترة بن شداد:88.

(3) المصدر نفسه:85.

(4) هوعامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر، إبن أخي معود الحكماء الماضي وأمه كبشة بن عروة الرمال بن عتبة بن مالك بن جعفر، وكنية عامر في الحرب (أبوعقيل) وفي السلم (أبوعلي)، وهوفارس مشهور وشاعر مجيد فحل، (المفضليات:360).

إنـي وإن كنـت إبـن سـيد عـامرٍ	فـما سـود تـني عـامرٌ عـن قرابـةٍ
ولـكـنني أحـمي حماهـا وأتقـي	وفارسـها المنـدوب في كـل موكـب
أبـى الله أن أسـموبـأم وأبِ	أذاهـا وأرمـي مـن رماهـا بمنكـب

وكان الفرسان في الجاهلية " يذودون عن جيرانهم ويقومـون لهـم بكـل مـا يـصلحه وعياله، ويحميه ممن يريده بسوء، حتى إذا هلك له بعير أوشـاة، أخلـف عليـه، وإن مـات وداه[1]".

ويعد " حارث بن ظالم المري[2] مـن الفرسـان المعـدودين في الوفـاء للجيرانـه، وقـد عرض نفسه للمخاطر من أجل الدفاع عـن جيرانـه، فهومثـال للوفـاء في الجاهليـة، فأقـل إساءةٍ تنال جيرانه يعدها عاراً عليه، لا تغسله إلا الدماء، ويتحـدى الأخطـار إذا أحـدقت به، ويتجاوز العقبات مهما إعترضت طريقه ليفتك بالمسيء، فهو يقول:-

حـسبت أبـا قـابوس أنـك سـالمٌ	ولمـا تـصب ذلاً، وأنفـك راغـم
فـإن تـكُ أذوادٌ أصـبن وصبيـته	فهـذا أبـن سـلمى رأسـه متـفاقم
علـوت بـذي الحيـات مفـرق رأسـه	وهـل يركـب المكـروه إلا الأكـارم
فتكـت بـه كمـا فتـكـت بـخالدٍ	وكـان سـلاحي تجتويـه الجماجـم
أخـصيي حمـارٍ بـات يـكدم نجمـةً	أتأكـل جيرانـي، وجـارك سـالم
بـدأت بهـذي ثـم أثـني بهـذه	وثالثـة تبيـض مـنها المـقادم

(1)دراسات في الشعر الجاهلي:13.

(2) هوحارث بن ظالم المري من بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغـيض بـن ريـث بـن زيـد بـن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر، كان من أشراف بني مرة وساداتهم، وكان أفتك الناس وأشجعهم، (المفضليات:311).

من خلال هذه المفاهيم المتعددة للبطولة نستشف بأن البطولة في الشعر العربي قبل الأسلام هي عبارة عن مجموعة من الصفات والخصائص الإيجابية لدى الإنسان العربي، فالبطل هورمز الكمال الإنساني المناقض لرموز الإنحطاط والضياع، أنه الإنسان الحقيقي الذي يمتلك صفات الشجاعة والكرم والحكم ورجاحة العقل والإخلاص والوفاء والمروءة والسيادة.

المبحث الثاني

((الشجاعة عند الشدائد))

لغةً:- شَجُعَ شجاعة: إشتد عند البأس، والشجاعة: شدة القلب في البأس، ومن يتصف بهذا الخلق يقال له: شَجاع وشِجاع وشُجاع وأشجع وشَجع وشَجيع وشَجِعَة ويجمع على: شُجعان وشِجعان وشجعاء وشِجَعَة وشِجْعة وشُجعَة وشِجاع والمرأة شجاعة وشَجِعَة وشجيعة وشجعاء، وقيل لا توصف به المرأة، وشِجعته: إذا قلت له أنت شجاع أوقويت قلبه، ورجلٌ مشجوع: مغلوب بالشجاعة[1].

ويقال (شُجَعَاءُ، وشجْعَةٌ، وشِجِعَةٌ) إسم للجمع، قال طريف بن مالك العنبري:-

حولي فوارس من أسيد شجعة   وإذا غضبت فحول بيتي خضم

وقد (شَجُعَ، ككرم)، شجاعة، ككرامة، أغفل عنه مع شدة الإحتياج إليه، والإعتذار بالشهرة من مثله لاينهض[2] .

والشجاع: بعض الحيات، وجمعه: شجعان وثلاثة أشجعة، ورجل شجاع وشُجَعَةٌ، وشِجَعَةٌ، وإمرأةٌ شجاعة، وسنوة شجاعات وشجائع، وقوم شجعاء، وشُجْعَةٌ وشِجعةٌ على تقدير صحبة وغلمة، ورجل شجيع، أي: شُجاعُ، مثل: عجيب وعُجاب. وأشجاعة، شِدَّة القلب عند البأس، تقول: تشجعوا فحملوا، ورجل أشجع، يرجع معناه إلى الشجاع[3] .و"(الشجاعُ) أي شديد القلب عند البأسِ[4]".

إصطلاحاً:- الشجاعة هي " الإقدام على المكاره والمهالك عند الحاجة إلى ذلك، وثبات الجأش عند المخاوف مع الإستهانة بالموت"[5] سئل عنترة العبسي عن قتالهم ضد

---

(1) لسان العرب: مادة: (شجع).

(2) العين، خليل بن احمد الفراهيدي: 1 / 212.

(3) تاج العروس من جواهر القاموس:21 / 252.

(4) الأغاني: 2 / 144.

(5) نهاية الأرب: 3/ 220.

ذبيان فقال" كنا ألفا مثل الذهب الخالص ليس فيه غيرنا لم نكثر فنتواكل ولم نقل فنذل، وقيل لعنترة: كيف تغلب الأبطال؟ قال: أبدأ بالجبان فاضربه فأقسمه قسمين فإذا رأى الشجاعُ الجبان مقسوماً فرَّ مني، وقيل له: كيف تنتصر على الناس؟ قال:بالصبر"[1]. وحب العرب للشجاعة جعلهم يقسمونها إلى ثلاث درجات على حسب درجة الرجال فقال بعض أهل التجار" الرجال ثلاثة، فارس وشجاع وبطل، فا لفارس الذي يشد إذا شدوا، والشجاع الداعي إلى البراز والمجيب داعيه، والبطل الحامي لظهور القوم إذا ولوا"[2] ونرى من خلال دراستنا للشعر العربي بأنه مليء بوصف الشجاعة، لأنها" مفخرة العربي يلبسها وتلبسه سواءً أكان غنياً أم فقيراً، وللشجاعة مظاهر عديدة أبرزها: عدم الفرار من الميدان عند لقاء الأعداء فمن العار أن يفر المصاب من لقاءِ أعدائه لأن فراره موت"[3] .

يقول (الأعلم الهذلي) عن فراره مع صاحبٍ له من مغامرةٍ لهما في بعض بلاد كنانة:-

لما رأيت القوم بالعلياء	دون قدى المناصب
وفريتُ من فزع فلا	أرمي ولا ودعت صاحب
يغرون صاحبهم بنا	جهداً وأغرى غير كاذب
أغرى أبا وهب ليعجزهم	ومدوا بالحلائبْ

ثم يمضي في وصف تلك الجماعات التي تطاردهما، وسرعة عدوأحد مطارديه، ثم ينتقل إلى الإعتذار عن فراره بأنه يخشى أن يقتل بسيوفهم فيصير طعاماً للذئاب والضباع والثعالب والطيور الجارحة:-

وخشيت وقع ضربةٍ	قد جربت كل التجارب
فأكون صيدهم بها	وأصير للضبع السواغب

(1) البطل في التراث:28.

(2) قاموس المحيط، لفيروز آبادي: 3 / 43.

(3) تهذيب الأخلاق، للجاحظ:84.

جـــــزراً وللــــــطير المربـــــة   والــــذئــــــــاب وللــــــــــثعالب

وتـــجـــــــر مـــجـــــرية لهـــــا   لحـــــــــمى إلى أجـــــرِ حواشـــــبْ

ومن مظاهر الشجاعة التي يفخر بها الفارس العربي، بأنه لا ينازل إلا بطلاً من صنوهِ وهذا المعنى ماثلٌ في منطق الشاعر العربي البطل، يقول (عنترة بن شداد) (1) مفتخراً بنفسه:-

أنـــا العبـــد الـــذي يـــــلقى المنايـــا   عـــــداة الــــروع لا يخـــشى المحاقـــا

أكـــر علـــى الفـــوارسِ يـــوم حـــرب   ولا أخــــــشى المهنـــــدة الرِّقاقـــا

وتطـــر بـــني ســـيوف الهنـــد حتـــى   أهـــــيم إلـــــي مَـــضاربِها إشـــتياقا.

ومن مظاهر الشجاعة عند الشعراء الفرسان، هي النجدة إلى من يستغيث به من عشيرته أوقومه، بصدقٍ وإندفاع لا تردد فيه، ليتبين حقيقة الأمر الذي تعلنُ عنه الإستغاثة.

قال طرفة بن العبد(2):-

إذا القوم قالوا: من فتى؟ خلت أنـني   عنيـــــت فلـــــم أكـــــسل ولم أتبلـــــدِ

قال رجل من بلعنبر، يقال له (قريط بن أنيف) (3):-

لـــوكـــنــــت مـــازن لم تـــستبح إبلـــي   بنواللقيطـــة مـــن ذهـــل بـــن شـــــيبانا

إذاً لـــقام بنـــــصري معـــشر خــــشن   عـــــند الحـــــفيظة إن ذولــــوثة لانـــا

قـــوم إذا الـــشر أبـــدى ناجذيـــه لـــهم   طـــــاروا إلـــــيه زرافـــات ووحـــدانا

لايـــسألون أخـــــاهم حـــين يندبـــهم   فـــــي النائبـــاتِ علـــى مـــا قـــال برهانـــا

(1)ديوان عنترة بن شداد:146.

(2) ديوان طرفة بن العبد:27.

(3)ديوان الحماسة:29.

لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

يجزون من ظلم أهل الظلم معفرة ... ومن إساءة أهل السوء إحسانا

كأن ربك لم يخلق لخشيته ... سواهم في جميع الناس إنسانا

يا ليت لي بهم قوم إذا ركبوا ... شنوا الإغارة فرساناً وركباناً

لقد سجل الفارس العربي بصدق، عبر شعره، حقيقة خصمه، وقوة شكيمته وهوينازله، والعربي إذ يقر بشجاعة عدوه لا يرمي من وراء إعترافه هذا تجسيد قوته وبسالته، وإنما كان أيضاً يهتز إعجاباً لملامح البطولة، وملامح الإقدام حتى ولوكانت من ألد خصومه، يقول (عنترة بن شداد)[1] في معلقته وهويصف خصمه الذي ينازله:-

ومدجج كره الكماة نزاله ... لا ممعن هرباً ولا مستسلم

جادت يداي له بعاجل طعنة ... بمثقف صدق الكعوب مقوم

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم

وفي قصيدة أخرى يصف (عنترة بن شداد) نفسه ويسرد فيها بطولاته وشجاعته والوقائع التي أبلى فيها بلاء حسنا وهويقول[2]:-

سلوا جوادي عني يوم يحملني ... هل فاتني بطلٌ أورحلت عن بطل

وكم جيوش لقد فرقتها فرقاً ... وعارض الحتف مثل العارض الهطل

وموكب خضت أعلاه وأسفله ... بالضرب والطعن بين البيض والأسل

ماذا أريد بقوم يهدرون دمي ... ألست أولاهم بالقول والعمل

لا يشرب الخمر إلى من له دمم ... ولا يبت له جار على وجل

---

(1) ديوان عنترة بن شداد:21.

(2)ديوان عنترة بن شداد: 84.

وكذلك من مظاهر الشجاعة أيضاً الأغارة، صباحاً ومساءً، حتى يبقى القلق هاجساً مستديماً في وجه الأعداء ينتظر تحقيقه بين حين وآخر، وأنهم مستعدون للمنازلة في كل الأوقات.

قال المهلهل[1]:-

لم يطيقوا أن ينزلوا فنزلنا — وأخو الحرب من لا يطيق النزولا

ويقول زهير بن أبي سلمى:- [2].

يطعنهم ما أرتموا حتى إذا أطعنوا — ضارب حتى إذا ما ضاربوا إعتنقا

ومن مظاهر الشجاعة عند الفرسان هوالحث على الثبات والنهي عن الإحجام والتفكير في العواقب، يقول (قطري بن الفجاءة) [3]:-

لا يركنن أحد إلى الإحجام — متخوفاً يوم الوغى لحمام

وقال (كلحبة الكلبي) [4]:-

إذا المرء لم يغش الكريهة أوشكت — حبال الهوينا بالفتى أن تقطعا

قال تأبط شراً[5]:-

قليل التشكي للمهم يصيبه — كثير الهوى شتى النوى والمسالك

يظل بموماة ويمسي بغيرها — جحيشاً ويعروري ظهور المهالك

(1) عدي بن ربيعة التغلبي، شاعر بطل، كنيته أبوليلى ولقبه المهلهل، لقب به لانه أول من نسج الشعر وهوخال امريء القيس، توفي حوالي سنة (100ق.هـ)، الأغاني: 6/ 103.

(2) ديوان زهير بن أبي سلمى: 54.

(3) قطري بن الفجاءة المازني التميمي، كان خطيبا فارسا وشاعرا، كنيته في السلم أبومحمد، وفي الحرب أبونعامة، ونعامة فرسه، توفي حوالي سنة (78هـ)، الأغاني:6/ 127.

(4) التذكرة الحمدونية، لابن حمدون: 2/ 462.

(5)ديوان تأبط شراً: 44.

إذا خاط عينه كرى النوم لم يزل له كالىء من قلب شيحان فاتك

ويجعل عينه ربيئة قلبه إلى سلة من حد أخلق صائك

إذا هزه في عظم قرن تهللت نواجذ أفواه المنايا الضواحك

وكثير في شعر الفرسان المشابه في الشجاعة بالأسد وفي ذلك يقول (زهير بن أبى سلمى) [(1)]: –

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا

ومن مظاهر الشجاعة لدى شعراء الفرسان، هي أن يصحبهم في غزواتهم الطيور والسباع، وأول من وصف ذلك هو(النابغة الذبياني) [(2)] فقال:–

إذا ما غزوا بالجيش، حلق فوقهم عصائب طير، تهتدي بعصائب

وإذا وقع بين قبيلتين دم فبعضهم لا يكتفي بدم القاتل أوالدية، بل يقتلون به عدداً من ذوي القاتل، وهم يعلمون أن النفس بالنفس قاعدة معروفة قبل الإسلام، فهذا (كعب بن زهير) [(3)] يفاخر بمزينة التي قتلت برجل واحد منها خمسين من الخزرج ولم تقف عند الأعراف بالدماء.

---

(1) ديوان زهير بن أبى سلمى: 54.

(2) ديوان النابغة الذبياني: 14.

(3) هوكعب بن زهير بن أبى سلمى، من شعراء الصحابة، نشأ في بيت كلهم شعراء، أسلم بعد الفتح، وعفا عنه الرسول (ﷺ) وكساه بردته، ينظر (الأغاني:15 – 142)، الحماسة لأبى تمام: 278.

فهويقول:-

فما عتر الظباء بحي كعبٍ ... ولا الخمسون قصر طالبوها

ولا قلنا لهم نفس بنفس ... أقيدونا بها إن لم تدوها

ومن مظاهر الشجاعة عند شعراء الفرسان، أنهم كانوا يهابون من الإلتحام بالجيوش النظامية، لعدم قدرتهم وكفاءتهم في مقابلتها، لمالها من تنظيم وتدريبٍ وسلاح " وقد كانوا يخشون من الإلتحام بالجيوش الآشورية والبابلية والرومية، لتفوق تلك الجيوش عليهم[1]"، فها هو(عنترة بن شداد)[2] يصف نفسه بأنه حارب الأعاجم وهم جيش كبير ويستدعي فرسانهم للمبارزة قائلاً:-

نفسوا كربي وداوُوا عللي ... وأبرزوا لي كل ليث بطلِ

وأنهلوا من حد سيفي جرعاً ... مرة مثل نقيع الحنظل

وإذا الموت بدا في جحفلٍ ... فدعوني للقاء الجحفل

يا بني الأعجام مابالكم ... عن قتالي كلكم في شغل

أين من كان لقتلي طالباً ... رام يسقيني شراب الأجل

أبرزوه وأنظروا ما يلتقي ... من سناني تحت ظل القسطل

ويقول[3] في لقائه لجيش الفرس:-

ولقد لقيت الفرس ياأبنة مالك ... وجيوشها قد ضاق عنها البيد

وتموج موج البحر إلا أنها ... لاقت أسوداً فوقهن حديد

---

(1) تأريخ العرب قبل الإسلام: 5 / 414.

(2)ديوان عنترة بن شداد:80.

(3) المصدر نفسه:220.

جـــاروا فحكـــمنا الـصـوارم بيننـا　　فقـــضت وأطـــراف الرمـــاح ســـهود

فالشجاعة عند شعراء الفرسان، مظهر تجلي القـوة في الـساعد وفي الـنفس، فعـروة بن الورد شجاع لا يخشى الحرب ولا تزعجه نتائجها وهويقول[1]:-

فلا أنا، ممـا جـرت الحـرب، مـشتك،　　ولا أنـا، ممـا أحـدث الـدهر، جـازع،

ولا بـصري، عنـد الهيـاج، بطـــماح　　كـــأني بعـــير، فـارق الـــشوك، نـــازع.

وكان العرب في الجاهلية يعتبرون الموت في الفـراش دليـل علـى الجـبن، ويـصفون الشجاع البطل بأنه يموت كريماً في الحرب، فها هو(السموأل) [2]يقول في شعره:-

ومـــا مـــات منـــا ميـــت في فراشـــه　　ولا طـــل منـــا حيـــث كـــان قتيـــل

فهويقول لا نموت في فراشنا لأننا أصحاب حـرب، ومنايـا الكـرام في القتـل، أي لم يموت رئيس منا على فراشه، بل مات ميتةً كريمةً في الحرب تحت ظلال السيوف والرمـاح، وهذا غاية ما يتحمد به الفتاك وأبناء الحروب، حتى إن بعـضهم إعتـذر عمـن مـات علـى فراشه. ويقول (زهير بن أبى سلمى) [3] في ذلك أيضاً:-

وإن يقتـــل فيـــشتفى مـــن دمـــائهم　　وكـــانوا قـــديماً مـــن منايـــاهم القتـــل

فالموت عند عنترة" لابد منه، ومادام الإنسان يمـوت فالأجـدر بـه أن تكـون ميتـة في الحرب، لأنها أولى من غيرها لما فيها من الإيثار وعلوالذكر"[4] وهويقول:-

إذا كـــان أمـــر الله أمـراً يـــقـــدر　　فكيـــف يفـــر المـــرء منـــه ويحـــذر

ومـن ذا يـرد المـوت أويـدفع القـضا　　وضــــربته محتومـــة لـــيس تعـــثر

---

(1)ديوان عروة بن الورد:184.

(2) ديوان السموأل: 73.

(3) ديوان زهير بن أبى سلمى: 102.

(4) مختار الشعر الجاهلي:382.

لقد هان عندي الدهر لما عرفته ... وإني بما تأتي الملمات أخبر

" إن هذه الفلسفة التي مثلها عنترة لم تكن غريبة عن بيئته، أوبعيدة عن طبيعة الحياة التي يحياها، فهي مستمدة من الجذور الأصلية التي تفرعت في نفسه فكانت تلك القصائد الخالدة التي تغنت بها الأجيال"[1]، وهويقول: -

دعوني أجد السعي في طلب العلا ... فأدرك سؤلي أوأموت فأعذر

ولا تختشوا مما يقدر في غدٍ ... فما جاءنا من عالم الغيب مخبر

وكم من نذير قد أتانا محذراً ... فكان رسولاً في السرور يبشر

قفي وإنظري يا عبل فعلي وعايني ... طعاني إذا ثار العجاج المكدر

ترى بطلاً يلقي الفوارس ضاحكاً ... ويرجع عنهم وهوأشعث أغبر

ولا ينثني حتى يخلي جماجماً ... تمر بها ريح الجنوب فتصفر

وأجساد قوم يسكن الطير حولها ... إلى أن يرى وحش الفلاة فينفر[2]

وهوينصحنا ويقول أن الموت في عزة خير من أن تموت في ذلة وإستهانة.

وإختر لنفسك منزلاً تعلوبه ... أوموت كريماً تحت ظل القسطل

فالموت لا ينجيك من آفاته ... حصن ولوسيدته بالجندل

موت الفتى في عزة خير له ... من أن يبيت أسير طرف أكحل[3]

قال (قطري بن الفجاءة) [4]:-

(1) مختار الشعر الجاهلي:389.

(2) ديوان عنترة بن شداد: 114.

(3) المصدر نفسه: 85.

(4) الأغاني: 2/ 144.

أقـول لهـا وقـد طـارات شـعـاعـاً　　مـن الأبطـال ويحـك لـن تراعـي

فإنـك لـو سـألتِ حـياة يـوم　　سـوى الأجـل الـذي لـك لـن تطـاعي

فـصبراً في مجـال الـموت صـبراً　　فـمـا نيـل الخـلود بمـستطاعِ

ولا ثـوب البـقـاء بثـوب عـزٍ　　فيـطوي عـن أخ الخنـع الـيراعِ

سبيل المـوت غاية كـل حـي　　وداعيـه إلى أهـل الأرض داعِ

ومـن لا يعتـضد يـهرم ويـسقم　　وتـسلـمه المـنون إلى إنقطـاع

فالشاعر تطرق إلى مصير الإنسان المحتوم الذي هوالموت، وتناقش في أبياته مسألة الموت والخلود والعجز والهرم.

ويؤمن (عروة بن الورد)[1] بأن الموت خاتمة طبيعية لكل حياة، والدنيا ممر ومكان لقاء لا يلبث أن يتبعه الفراق، وكل طريقٍ طويل صعبي ينتهي إلى إنفراج، كذلك طريق الحياة الشاق، نهايته فرجة الموت، إلا أن ذلك لا يمنع الناس من التمني، والعمل على تحقيق الأماني، وهويقول:-

وأن المنايـا ثغـر كـل ثنيـة　　فهـل ذاك، عمـا يبتغـي القـوم، محـصر؟

والموت عند (عروة) ليس دائماً أمراً مكروهاً، فهوأحياناً المنقذ وهوالمريح من حياة الحرمان والذل.

فـرغم العـيش إلـف فنـاء قـوم،　　وإن آسـوك، والمـوت الـرواح[2]

ويدعو(عروة) بني لبنى، وهم قوم من عبس، إلى عدم التقاعس، وبالتالي إلى إمتطاء الخيل وشد أرسانها حتى تعتدل صدورها وتتأهب فينطلقوا بها إلى الغزو،

---

(1)ديوان عروة بن الورد: 161.

(2) المصدر نفسه: 108.

وهويقنعهم بأن، هذا أفضل لهم، وإن كان فيه خطر التعرض للموت، فالموت في المعركة، أيا كان شكله، خير من الموت جوعاً وهويقول:-

أقيموا، بني لبنى، صدور ركابكم فكل المنايا النفس، خير من الهزل،[1]

على ضوء هذه القناعة يمكن تفسير شجاعة (عروة) التي تحدثنا عنها وإستخفافه بالموت ووضعه لقاءه لضب عينيه، إن سار وغامر أوبقي في مكانه، لأن الموت لا يصيب المغامر وحده، بل يصيب أيضاً المتخلف المتقاعس، وهويقول:-

تخوفني ريب المنون، وقد مضى لنا سلف:قيسٌ معاً، وربيع! [2]

ومن مظاهر الشجاعة عند الفرسان أن ينازلوعدواً كان على أتم الإستعداد لهم، وعلى غاية الإحتراز منهم، ويقول (السموأل) [3] في ذلك:-

وأيامنا مشهودة في عدونا لها غرر معلومة وحجول

وأسيافنا في كل يوم كريهة بها من قراع الدارعين فلول

معودة أن لا تسل نصالها فتغمد حتى يستباع قبيل

وكانوا يعلمون بأن من يخوض الحرب، لابد له أن يقتل يوماً، لا محالة يقول (تأبط شراً) [4]:-

ومن يغر بالأعداء لابد أنه سيلقى بهم من مصرع الموت مصرعا

وكان من صفاتهم أنهم، متعودون ملازمة الحرب والأمكنة، يقول (ربيعة بن مقروم) [5]:-

---

(1) المصدر نفسه:201.

(2) المصدر نفسه: 180.

(3) ديوان السموأل:77.

(4)ديوان تأبط شراً: 39.

(5) المفضليات: 112.

وثغـــرٍ مخـــوفٍ أقمنـــا بـــه   يخـــاف بـــه غيرنـــا أن يقيمـــا

أما (طرفة بن العبد)[1] يصف لنا مشاعره بصدق بعيداً عـن الخـداع والإلتـواء وإذ به رجل صبور في الملمات، قوي على حـوادث الأيـام وظلـم الأقـارب، ينفـق مالـه بغـير حساب، ودون إقتصاد، يبحث عن اللذة في كل مكـان، لأن الحيـاة قـصيرة لا تـستحق أن يبادرها المرء إلا بما إستطاعت يداه من وسائل:

أســد غــاب، فــإذا مــا فزعــوا   غــير أنكــاسٍ ولا هـــوج، هــذر

وهـــم، مـــاهم، إذا مالبـــسوا   نـــسج داود لـــبأس محتـــضر

ورثـــوا الـــسؤدد عـــن آبـــائهم   ثـــم ســـادوا ســـؤدداً غـــير زَمِـــرْ

وينطلق طرفة واثقاً من نفسه، لا يحسب للحياة حساباً، يتمسك بعقيدته في الحيـاة، بكل حزم وصراقة، فيصوغ مبادئه بجرأة، مستوحياً آراءه من حياة البادية الـتي تعتمـد علـى أخلاقية مثالية تقوم على تقديس المروءة والشجاعة والتضحية والكرم وتعتبر الحياة ميـدان صراع لا مكان فيه لغير القوي.

ويتحدث (حصين بن حمام)[2] عن تحلي الشاعر العربي بالشجاعة وأشـاد بفـضلها ودورها لأنها سبيل المتعة والسؤدد والحياة، ويقول:-

تأخرت أستبقي الحياة فـلـم أجـد   لـنـفـســي حيـاة مثـل أن أتقـدما

فلسنا علـى الأعقـاب تـدمي كلومنـا   ولـكـــن عـــلى أقـدامنا تقطـر الـدما

فالشاعر العربي ولاسيما الشعراء الفرسان كانوا يفتخرون بشجاعتهم لأنهم لايـرد عنهم الأخطار إلا سواعدهم القوية وتضامنهم بوجه عدوهم المشترك المتجسد في الطبيعـة

(1)ديوان طرفة بن عبد: 50.

(2) هوحصين بن حمام بن ربيعة بن مساب بن حرام بن واثلة بن سهم بن مرة بن عـوف أبـن سـعد بـن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، كان سيداً شاعراً وفياً، يعد من أوفياء العرب، ويعد مـن أشـعر شعراء الجاهلية، (المفضليات:64).

القاسية حيناً وفي القبائل المجاورة حيناً آخر، وسردوا تلك الوقائع التي خاضوها سرداً دقيقاً وإستحقوا بذلك تقدير الأجيال، يقول (عنترة بن شداد) [1]:-

أنا الموت إلا أنني غير صابرٍ على أنفس الأبطال والموت يصبر

أنا الأسد الحامي حمى من يلوذ بي وفعلي له وصف إلى الدهر يذكر

وقد نحلت الحروب أجسام هؤلاء الفرسان، لأنهم عاشوا حياتهم عرضة لأطراف الرماح، وفي ذلك يقول (عنترة بن شداد) [2]:-

أما تريني قد نحلت ومن يكن غرضاً لأطراف الأسنة ينحل

فلرب أبلج مثل بعلك بادنٍ ضخم على ظهر الجواد مهيل

غادرته منغفراً أوصاله والقوم بين مجرح ومجدل

فيهم أخوثقة يضارب نازلاً بالمشرفي وفارسٌ لم ينزل

وكانوا يشجعون الجبان للقتال، فها هوعنترة بن شداد ويقول[3]:-

بكرت تخوفني الحتوف كأنني أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل

فأجبتها: إن المنية منهل لابد أن أسقى بكأس المنهل

فاقني حياءك لاأبالك واعلمي أني أمروٌ سأموت إن لم أقتل

فالشجاعة عند شعراء الفرسان تتجاوز حاجاتهم لتصبح مطلباً قبلياً، فها هو(عروة بن الورد) يشتدون قومه به ويستنجدونه حين تعنف المعركة، وهويلبي النداء فينزل إلى الساحة، لا ليقاتل كالآخرين، بل ليتصدى للفارس المقدام المتسربل بملابس الحرب وعدتها، وهويقول:-

---

(1) ديوان عنترة بن شداد: 107.

(2) المصدر نفسه:208.

(3) المصدر نفسه: 89.

إذا قيل: يا إبن الورد، أقبل إلى الوغى   أجبت، فلا قاني كمي مقارع[1]

فهوالفارس الشجاع، المدجج بالسلاح، وبكفه سيف عريقٌ أبيض الشفرة، صقلها، يقطع بأقصى الشدة والقوة، وهويقول:-

بكفي، من المأثور كالملح لونه،   حديث، بإخلاص الذكورة قاطع،

فأتركه بالقاع، رهنا ببلدة،   تعاوره فيها الضباع الخوامع،[2]

فهذا الفارس الشجاع (ومن الضروري أن يكون عظيم الشجاعة ليكون في قهره فضل كبير) يضربه عروة فيقضي عليه ويتركه للفلاة المنبسطة بين الآكام تتضمنه، فتتناوب على جسده ضباعها العرجاء.

محالف قاع، كان عنه بمعزل،   ولكن حين المرء، لابد، واقع. [3]

فهويقول أن هذا الفارس قضيت عليه فلازم ذلك المنسبط في الأرض، وقد كان بمنأى عنه، إنما هوالقدر المحتوم يسوق المرء إلى حتفه، إلى موت لا مفر منه.

ويستنجد به قومه عند الملمات فيقدم عندما يحجم الآخرون أويدبرون، ويختار أقوى الفرسان وأشدهم بأسا وأكثرهم سلاحاً ليقارعهم ويتركهم على الثرى مجندلين، وهويقول[4]:-

أتجعل إقدامي، إذا الخيل أحجمت،   وكري، إذا لم يمنح الدبر مانع،

فهوينسب إلى نفسه الشجاعة التي تدفعه إلى الثبات في الأوقات الصعبة.

سواء ومن لا يقدم المهر في الوغى،   ومن دبره، عند الهزاهز، ضائع؟

---

(1) ديوان عروة بن الورد:183.

(2) ديوان عروة بن الورد: 184.

(3) المصدر نفسه: 184.

(3) المصدر نفسه: 181.

فهويصف الإنسان المتخاذل الذي يخشى الإقدام في المعركة، ويظل قريباً في الهرب، حتى إذا ما إشتدت الفتنة ولى الأدبار.... ويظهر (عروة) ألمه إذا يقارن بهذا الجبان ويصرخ محتنجاً: أيكون إقدامي وإحجامه، كري وإنهزامه سواء؟؟

و(عروة بن الورد) يتمتع ببطولة نادرة تدفعه إلى الإقدام حين ينكص الآخرون، وتجعله يختار نداً في القتال يهرب منه سواه ويحق لمن يغلبه أن يفخر، و(عروة) يتميز بالنجدة وكما قلنا فهويلبي نداء قومه حين يضامون، فيغدوموئلاً لهم وملاذاً.....

ولكن هذا النمط من الحياة يعرض صاحبه للمخاطر، فالحروب لها جرائر، والدهر غدار، وعروة يعرف ذلك ويقبله: فلا من ذيول الحرب يشتكي، ولا من مصائب الدهر يخاف، وبصره دوماً حديد....

فهوصاحب قناعة بأن أية معركة يخوضها تكون نتائجها لصالحه، لذلك كان دائماً يتحدى منافسيه مؤكد ترحيبه بالحرب إذا أرادوها، فهويقول:-

فيلحق بالخيرات من كان أهلها وتعلم عبس: رأس من يتصوب.

فهوفي هذه القصيدة يتنبأ فيها لقيس بالخذلان والهزيمة إذا رحل (أي عروة) مع جماعته، لأنهم هم سيف عبس الحقيقي وهم صانعوقوة قيس، وبدونهم يغدوتابعاً لكل حقير ذليل.

تمنى غربتي قيس وإني لأخشى، إن طحابك ما تقول،

وصارت دارنا شحطا عليكم وجف السيف، كنت به تصول،

عليك السلم، فأسلمها، إذا ما أواك له مبيت أومقيل:

بأن يعيا القليل عليك حتى تصير له، ويأكلك الذليل،

فإن الحرب، لودارت رحاها وفاض العز وأتبع القليل،

أخذت، وراءنا، بذ ناب عيش، إذا ما الشمس قامت، لاتزولُ،

فكنت كليلة الشيباء، همت بمنع الشكر، أتأمها القبيل.[1]

ومن مظاهر الشجاعة لدى الفرسان هو(الصبر والإقدام في الحروب) "تقول العرب: الشجاعة وقاية والجبن مقتله، وأعتبر من ذلك أن من يقتل مدبراً أكثر ممن يقتل مقبلاً"[2]

قال الشنفري[3]:-

فلا تدفنوني، إن دفني محرم عليكم ولكن خامري أم عامر

إذا حملت رأسي وفي الرأس أكثري وغودر عند الملتقى ثم سائري

هنالك لا أبغى حياة تسرني سجيس الليالي مبسلاً بالجرائر.

ويقول (عمروبن معد يكرب)[4] يصف صبره وجلده في الحرب:-

أعاذل عدتي بزي ورمحي وكل مقلص سلس القيادي

أعاذل إنما أفني شبابي إجابتي الصريخ إلى المنادي،

مع الأبطال حتى سل جسمي وأقرح عاتقي حمل النجادي

ويبقى بعد حلم القوم حلمي ويفنى قبل زاد القوم زادي

ومن عجب عجبت له حديث بديع ليس من بدع السداد

تمنى أن يلاقيني أبي وددت وأينما مني ودادي

فلولا قيتني للقيت ليثاً هصوراً ذا ظباً وشباً حداد

(1) ديوان عروة بن الورد: 216.

(2) العقد الفريد: 1/ 96.

(3) ديوان الشنفري: 113.

(4) وهوفارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة، توفي حوالي (21هـ)، العقيد الفريد: 112، ديوانه: 61.

ولا ستيقنت أن المـوت حـق		وصـرح شـحم قلبـك عـن سـواد

أريـد حـياته ويريـد قـتلي		عـذيرك مـن خليـلك مـن مـراد

وهم صابرون ووقورون لا يجزعون في مواجهة الخطوب فالفارس منتصر دائماً على الهلع والفزع في إقتحام الأهوال، فالصبر سجية الفرسان وقال (الحصين بن الحمام المري) [1]:-

ولمـا رأيـت الـود لـيس بنـافعي		وأن كـان يومـاً ذا كواكـب مظلمـا

صـبرنا وكـان الـصبر فينـا سـجية		بأسـيافنا يقطعـن كفـا ومعـصـما

---

(1) المفضليات: 65.

المبحث الثالث

((الكرم والمروءة))

الكرم لغةً:-" كرم: الكَريم: الجامع لأنواع الخير والشرَف والفَضائل. والكَريم، إسم جامع لكل ما يُحمَد، فالله عزوجل كريم حميد الفِعال ورب العرش الكريم العظيم.

يقول إبن سيدة: الكَرَم نقيض اللُّؤم يكون في الرجل بنفسه، وإن لم يكن لَهُ آباء، ويستعمل في الخيل والإبل والشجر وغيرها من الجواهر إذ اعنوا العِتق، وأصلُهُ في الناس"[1].

" الكَرَمُ مُحرَّكةً ضِدُّ اللُّؤم، كَرُمَ بضم الراءِ كرامةً، وكرَماً وكَرَمَةً محرَّكتين فهوكريمٌ وكريمَةٌ وكِرْمَةٍ بالكسرِ ومُكْرَمٌ ومُكْرَمَةٌ، كُرماءُ وكرامٌ وكَرائِمُ وجَمْعُ الكُرَّامِ الكُرَّامونَ ورجلٌ كَرَمٌ محَّركةً كريمٌ للواحِد، وللكريمِ الواسِعِ الخُلُقِ"[2].

(كَرُمَ) الشيء كرامَةً وكَرَماً وكَرَمةً نفسَ وعزَّ، وكَّرمَهُ تكريماً وتكرمةً عظَّمهُ ونزهَهُ، وكرَّم اللهُ وجَهَهُ شرَّفَهُ.

(الكُرام) بالضَمِ، الكريم جمعُهُ (كُرامون)، و(الكَرامةُ) مصدر، (الكَرَّام) صاحب الكَرْم والمعنى بِهِ، (كرَّام) إمام الكرامية القائل إن معبودَهُ مستوعلى العرشِ وإنهُ جوهر، (الكُرَّام) و(الكُرَّامة) بالضم أي المفرط في الكَرَم، و(الكَرْم) أي القلادة، (الكَريم) ذو(الكَرَم) وهوالجواد الكثير النفع.

(رجلٌ كريم) أي سخيٌ معطاء، و(رزق كريم)، أي رزق كثير، والكريم في الأسماء الحسنى.[3]

---

(1)لسان العرب: مادة (كرم).

(2)القاموس المحيط: 4/ 170.

(3) البستاني: 2/ 2077.

"(كرُم) الشيء يكرمُ كرامة وكرَماً، و(كرُم الرجُـلُ) أي أعطـى، وضـد لـؤم و(كرَّمَـهُ) أي عَظمَهُ"[1] و(الكرم) نقيض (البخل)، و" البَخْل والبُخول: ضد الكرم، وقَدْ بَخِلَ يُبْخَـل بُخلاً وبَخَلاً، فهوباخل: ذوبُخْل، والجمع بُخَّال، وبَخيل والجَمْعُ بُخَلاء"[2].

فعلى الرغم من عنف الحياة الجاهلي، وقساوة الحياة في هذه الطبيعة الـتي تـصل إلى الوحـشية، " نـرى أن لـدى بعـض النـاس روحـاً إنـسانية، فيهـا العطـف علـى الـضعيف ومساعدة المحتاج وبذل المال والنجدة، والبر للأهل والأقارب بل وللغريب أيضاً"[3]

وفي شعر ينسب إلى (أبى خراش الهـذلي) [4]، إمتـداح لكـرم ولكرامـة الإنـسان في الحياة، وترفع عن المذلة وتباهٍ بإيثار الغير على نفسه، مع أنه فقير صعلوك، فهويقول:-

وإنـي لأثـوي الجـوعَ حتـى يملـــني	فيــذهب لم يــدنس ثيــابي ولا جـــرمي
وأغتــبق المــاء القـــراح فــأنتهـــي	إذا الـــزاد أمـــسى للمـــزلج ذا طعـــم
أرد شجاع البطن قـــد تعلمـينـــه	وأوثـر غـيري مـن عيالــك بالـــــطعم
مخافـــة أن أحيـــا بـــرغم وذلـــة	وللمـوتُ خيرٌ مـــن حياة علـى رغـم

فالكرم مظهرٌ من مظاهر المروءة للشعراء الفرسان، فبالكرم أزالوا الكـرب وكـشفوا الغمَّ عن الفقراء سيئي الحال، الذين داهمَتهمُ قسوة الطبيعةِ ومـصائب الـدهر، قـال زهـير بن أبى سلمى[5]:-

حـــامي الـــذمارِ علـــى مُـــــحافظَةِ	الجُلّـــى أمِـــينُ مُغَيَّـــبِ الـــصّدْرِ
حَــدِبٌ علــى المَــوْلى الــضريكْ إذا	نابَـــتْ عَلَيـــهِ نَوائِـــبُ الدَّهـــــرِ

---

(1) دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي: 15/ 125.

(2) لسان العرب:مادة (بخل).

(3) تأريخ العرب قبل الإسلام: 9/ 614.

(4)ديوان الهذليين: 2/ 127.

(5) ديوان زهير بن أبي سلمى: 32.

وقد كان لظروف حياتهم القاسية المجدبة أثر كبير في إنتشار الكرم عندهم، " فقد كانوا مظطرين إلى فعل ذلك، لأنهم جميعاً معرضون للفقر والفاقة لابد أن يطلبوا المعونة من غيرهم"[1].

فمن مفاخرهم أن يجوع ليطعم غيرهُ، ويعري ليكسوسواهُ، وإذا مَسَهُ الفقر زادهُ سماحاً وأتلافاً، وقلما رأيتهم يصفون فارساً أوسيداً إلا كان الكرم والضيافة وإتلاف الأموال أبرز صفاته.

يقول (عنترة بن شداد)[2]:-

ولقد أبيتُ على الطّوى وأظَلُّهُ	حتى أنالَ بهِ كَريمَ المأكَلِ
وإذا الكتَيبةُ أجْمَعَت وتلاحَظَتْ	ألْفيتُ خيراً مِنْ مُعمٍّ مُخْولِ

فكانوا يتباهون في الكرم ويسارعون في إقراء الضيوف كما كانوا يعدون جمع المال عاراً ومَذلة، و" قد عابَ بعضهم قيس بن عاصم بأنهُ أوصى بنيه فكان أكثر وصيته أن يحافظوا المال، والعرب لا تفعل ذلك وتراهُ قبيحاً"[3] وعنترة بن شداد الفارس الشجاع الكريم، فهويحسن إستعمال المالِ في لهوهِ، فَيَشْرَبُ الخَمْرَ ويستهلكُ مالَهُ فيما " عِرضَهُ وافرلم يُكلمْ" وإذا دعا العطاءُ أجابَ بيدٍ مَبْسُوطَةٍ وقَلْبٍ رَحِبْ وهويقول[4]:-

فإذا شَرِبْتُ فإنني مُستَهلِكٌ	مالي، عِرضي وافرٌ لم يُكلَمِ
وإذا صَحَوْتُ فما أُقَصِّرُ عَنْ نَدىً	وكما عَلِمتِ شمائلي وتَكَرُّمي
يخبرك من شَهِدَ الوقيعة أنني	أغشى الوغى وأعِفُّ عند المَغنَمِ

(1) فن المديح وتطوره في الشعر العربي، ايليا حاوي: 22.

(2) ديوان عنترة بن شداد: 88.

(3)الأغاني: 12/ 110.

(4) ديوان عنترة بن شداد: 7.

وهنا يجسدُ معنى الرجولة الكاملة، دون أن تنتهي هذه الرجولة إلى ضعف، كما يمثّلُ الشدة البعيدة عن العنف، والشجاع الذي يظلُّ بعيداً عن التهّور.

ولزيادة إهتمام العرب بالكرم فقد قسموهُ إلى ثلاثة أقسام فقالوا" مراتب السخاء ثلاثة، سخاء وجود وإيثار، فالسخاء: إعطاءُ الأقل وإمساك الأكثر، والجود: إعطاء الأكبر وإمساك الأقل، والإيثار: إعطاء الكل من غير إمساك شيء وهوأشهر درجات الكرم"[1].

فهذا (الشنفري)[2] إبن البادية، وإبن الفطرة، الذي يتحدى مشقات الصحراء ويأنف المذلة والإستسلام، ويتنكر لأهله إذا أخلوا بالقيم البدوية، فإذا به كغيرهِ من الشعراء الصعاليك الفرسان، يهيم على وجههِ في القفار، يؤثر الحياة مع وحوش الفلاة لأنها أحفظ للسر، وأوفى، وأحرص على الجار.

يفخر بنفسه ويتحول إلى إيثار الفقر على الغنى، وحياة الشظف على حياة النعيم، فإذا الحياة الحقيقية هي التنكر لحياة الذل التي لا تؤمن لصاحبها الحرية التي يعتبرها الصعاليك من أولى المقدسات، ويقول في لاميتهِ المشهورة:-

أقيموا بني أمّي صدورَ مَطيِّكُمْ ... فإني إلى قومٍ سواكُمْ لأمْيَلُ[3]

وفي الأرضِ منأىً للكريمِ عن الأذى ... وفيها، لَمِنْ خافَ ألقِلي، مُتعَرَّلُ[4]

ثلاثةُ أصحابٍ: فؤادٌ مُشيَّعٌ ... وأبْيَضُ إصْليتٌ وصَفْراءُ عَيْطَلُ

وكان (لَبيد بن رَبيعة)[5] من الأجواد المشهورين، نَذَرَ في الجاهلية أن لا تهبَّ الصَّبا إلا أطعم، وكان لَهُ جَفْنَتان يَغدوبهما ويروح في كل يوم على مسجد قومِهِ

---

(1) نهاية الأرب: 3/ 204.

(2) ديوان الشنفري: 71.

(3) مطيكم: جمع مطية وهي الناقة.

(4) القلي: البعض، تقصد بأن للكريم مكاناً في الأرض يستطيع أن يبتعد فيه عن الأذى.

(5) هولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عركمة بن حفصة بن قيس، توفي حوالي سنة (40هـ)، شرح المعلقات العشر: 114.

فيطعمهم، فهبّتِ الصبا يوماً والوليد بن عقبة على الكوفة، فصعد الوليد المنبر فخطب الناس ثم قال: إنّ أخاكم لبيداً قد نذر في الجاهلية أنْ لا تهبُّ الصَّبا إلى أطعم وهذا اليوم من أيامه، وقد هبت الصبا فأعينوه، وأنا أول من فعل ثم نزل عن المنبر فأرسل إليهِ مائة بكرة وكتب إليهِ بأبياتٍ قالها وهي:-

أرى الجَّزارَ يشحذ شفرتيهِ إذا هبَّتْ رياحُ أبي عقيلِ

أشمّ الأنفِ أصْيدُ عامريّ طويلُ الباعِ كالسيف الصقيلِ

وفي إبن الجعفري بحلقتيه على العِلاّت والمالِ القليلِ

بنحر الكوم إذ سحبت عليهِ ذيول صَبا تجاوب بالأصيلِ

فلما أتاهُ الشعر وكان ترك قول الشعر، قال لإبنة لَهُ خماسية: أجيبيه فلقد رأيتني وما أعي بجواب شاعر فقالت(1):-

إذا هبَّتْ رياحُ أبي عقيلٍ ذكرْنا عند هبّتِها الوليدَا

أشمُّ الأنف أصْيَدُ عبشميّاً أكانَ على مروءتِه لبيدا

بأمثالِ الهضاب كأن ركباً عليها من بني هامٍ قعودا

أبا وهب جزاك الله خيراً نحرناها فأطعمنا الثريدا

فَعُدْ إنَّ الكريمَ لَهُ معادٌ وظني بإبن أروى أنْ يعودا

فقال لها لبيد: أحسنت لولا أنك إستزديته، فقالت: والله ما أستزدته إلا أنهُ ملك ولوكان سرقة لم أفعَلْ.

وروي أن رسول الله (ص) قال: " أصدق كلمةٍ قالها شاعر كلمة لبيد: " ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطِلُ"(2).

---

(1) المصدر نفسه: 115.

(2) مسند أحمد بن حنبل:2/ 470.

وكان (السموؤل) عزيز النفس، كريم الأصل، يصون عرضهُ، ويكرم ضيفهُ، وشعرهُ يجسد المبادئ التي يؤمن بها خير تجسيد.

يقول في لاميتِهِ[1]:-

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللُّؤمِ عِرْضُهُ فَكُلُّ رداءٍ يرتديهِ مَجيلُ

وإنْ هولَم يَحْلْ على النَّفْسِ ضَيْمَها فَلَيْسَ إلى حُسْنِ الثناءِ سبيلُ

تُعَيِّرُنا أنّا قليلٌ عَديدُنا فَقُلْتُ لَها: إنَّ الكرامَ قليلُ

وما ضَرَّنا أنّا قليلٌ وجارُنا عزيزٌ، وجارُ الأكثرينَ ذليلُ

إذا سَيِّدٌ مِنّا مَضَى قامَ سَيِّدٌ قَؤُولٌ لِما قالَ الكِرامُ فَعُولُ

وما أُخمِدتْ نارٌ لنادونَ طارقٍ ولا ذمَّنا في النازلينَ نزيلُ

فهذهِ القصيدة تمثل الأخلاق الرفيعة التي تمثل صاحبها من جهة، وتمثل قيم عصرها بكل دقة وأمانة، وإنَّ من كانت هذهِ صفاتُهُ جدير أن تتمثّل (عائشة)، أم المؤمنين، بقولهِ:-

إنَّ الكريم إذا أرادَ وصالَنا لم يُلْفِ حَبْلي واهياً رَثَّ القِوى

أرْعَى أمانَتَهُ وأحفَظُ غَيْبَهُ جَهْدِي فَيَأتي بَعْدَ ذلِكَ ما أتى[2]

أجْزِيهِ أوأُثني عليهِ فإنَّ مَنْ أثنى عليكَ بما فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

وقَد سَمِعَ الرسول (ص) هذا الشعر تنشِدهُ عائشة، فقال:" قاتَلَهُ الله! ما أحسن ما قال! مَنْ لم يجد إلا الدعاء والثناء فَقَد كافا"[3]

---

(1) ديوان السموؤل: 66؟

(2) المصدر نفسه: 118.

(3) بهجة المجالس، للقرطبي: 1/ 310.

ويقول (أبى خراش الهذلي)[1]، إمتداحاً للكرم ولكرامة الإنسان في الحياة، وترفع من المذلة وتباهٍ بإيثار الغير على نفسِهِ، مَع أنَهُ فقير صعلوك، وهويقول:-

وإنـي لأثـوي الجـوعَ حتـى يملـني فيـذهب لم يـدنس ثيـابي ولا جـرمي

وأغتبـق المـاء الـقراح فـأنتهي إذا الـزاد أمـسى للمـزلج ذا طعـم

أرد شـجاع البـطن قـد تعلمينَـهُ وأوثـر غـيري مِـنْ عـيالك بـالطعم

مخافـة أن أحـيا بـرغم وذلـة وللمـوتُ خـيرٌ مـن حيـاة علـى الـرغم

وقد أشتهر حاتم الطائي بالكرم، فهوالمثال الأعلى لخير ما يفخر بـه الأعرابـي مـن حميد الصفات، فقد إجتمعت فيهِ، أشرف الخلال البدوية وأطيبها ذكراً، فهوالمثـل الأعلـى في الفروسية والإقدام، والنجدة وحسن الجوار، والحلم والعفة، والـشعر والفـصاحة، فمـا كان ليجاريهِ أويتقدمُهُ أحد في ضروب السخاء، وغرائـب الـضيافات، حتـى ضـرب المثـل بجودهِ وكرمِهِ، وأصبَحَ إسمُهُ مرادفاً للكرم المتناهي يشبه به، ولا يُـرى أفـضل منـهُ للتـشبيه، فحكايات كرم الحاتم كثيرةٌ جداً، ومنها ماروي عنهُ:-

رأى حاتم يوماً ولَدهُ يضرب كلبة لَهُ، وكان يحبها لأنها تـدل الـضيفان علـى منزلِـهِ، فغضبَ وإنهالَ عليهِ بالسوط، وهويقول[2]:-

أوصـيك خـيراً بهـا فـإن لهـا عنـدي يـداً لا أزالُ أحمـدها

تـدلُّ ضـيفي علـي في غلـسِ الليـلِ إذا النـارُ نـام مُوقـدُها

والعرب تمدح الكرام وتذم البخلاء بكلابهم، فكان (حـاتم الطـائي) المثـال النـاطق بمكارم الأخلاق، وهويقول[3]:-

إذا مـا بخيـلُ النـاس هـرت كـلابه وشق، علـى الـضيف الـضعيف، عقورهـا

---

(1) الأغاني: 21/ 42.

(2) ديوان حاتم الطائي: 58.

(3) المصدر نفسه: 59.

فـإني جبـان الكلـب، بـيتي مـــوطأ أجــود إذا مــا الــنفس شـــح ضـــميرها

وإن كلابــي قـــد أهــرت وعـــودت قليــل علـــى مـــن يعتريـــني، هـــريــــرها

وما تشتكي قدري، إذا الناس امحلت أؤثـــــفـــــها طـــــورا، وطـــورا أميرهـــا

وأبـــرز قـــدري بالفـــضاء قـــليقلها يـــــرى غـــير مـــضنون بـــه، وكثيرهـــا

وابلـــي رهـــن ان يكـــون كـريمـــها عقـــيرا امـــام البيـــت حـــين اثيرهـــا

أشـاور نفـس الجـود حتـى تـطيعنى واتـــرك نفـــــس البخـــل لا أستـــشيرها

ولـيس علـى نـارى حجـاب يـكنها لمـــــستـــوبص لـــــيلا،ولكـــــن انيرهـــــا

ومـــا تـــشتكيني جـــارتي غـــير انـــها إذا غـــــاب عنهـــا بعلـــها لا أزورهـــا

ســيبلغها خــيري ويرجــع بعــلها إليـــــها، ولم يقـــصر علـــي ســـتورها

وخيـــل تهـــادى للطعـــان شهدتـــها ولـــــولم أكـــن فيهـــا لـــساء عـــذيرها

وغمـــرة مـــوت لـــيس فيهـــا هـــوادة يكـــــون صـــدور المـــشرفي جـــسورها

صـــبرنا لهـــا في نهكهـــا ومـــصابها بأسيـــــــافنا حتـــى يبـــوخ ســـعيرها

ولودرسنا أخبار حاتم من خلال قصائده، لنرى بأنه مسّ به الجنوب من كرمه فهو" لا يطيب له العيش إلا في بذل ماله وإتلافه ولا ينام قرير العين إلا على مرأى الضيوف حول قدوره وجفانه، ويقول الرواة أنه لم يكن يمسك شيئاً مما تملك يده غير فرسه وسلاحه، فإنه كان لا يجود بهما، ولعلهم يستندون في ذلك إلى قوله[1]:-

متى يأتي، يوماً، وارثي يبتغي الغنى يجـد جمـع كفـى غـير مـلء ولا صـــفر

يجـد فرسـاً مثـل العنـان وصـارماً حـساماً إذا مـا هـز لم يـرض بالهـبر

(1) الشعراء الفرسان: 86.

وأسمـــر خطيـــاً كـــأن كعــــوبه نوى القسب قد أربى ذراعاً على العشـر[1]

وهويقول بأن الكريم خير من البخيل، فللكريم حسن الذكر إذا مات، وأما البخيل فيتبعه سوء الثناء، ويسألنا، لماذا يحرص الإنسان على ماله مادام الموت واصداً، ولا سبيل إلى الخلود في هذه الحياة؟، أفليس الأفضل له أن يترك ذكراً طيباً يخلد بعده فتتحدث به الأجيال؟ ..... فهويتحدث مع زوجتيه ويقول[2]:-

مهــلاً نــوار أقلــي اللــوم والعــذلا ولا تقـولي لـشيئ فـات: مـــا فعـلا؟

ولا تقـولي لمـــال كنـــت مـــهلكه مهـلاً! وإن كنـت أعطـي الإنـس والخـيلا

يـرى البخيـل سـبيل المـال واحـدة أن الجـــواد يـــرى فـــي مـــاله ســـبلا

إن البخيـــل إذا مـــا مـــات يتبـــعه ســـوء الثنـــاء ويحـــوي الـــوارث الإبـــلا

فاصـدق حـديثك إن المـــرء يتبعُـهُ مــا كــان يــبني، إذا مـــا نعـــشه حمــلا

يسعى الفتـى وحـمام المـوت يـدركه وكـــل يـــوم يـــدني للـــفتى الأجـــلا

تلك هي عظمة الجود ومكارم الأخلاق نقف أمامها معجبين (لحاتم الطائي) بعد مضي أكثر من (أربعة عشر) قرناً، كما وقف أمامها الأقدمون معجبين، فقد كان كرمه عنوان الجود في الجاهلية، فلا نزال نسمع إلى يومنا هذا مثلاً سائر ترده العامة والخاصة: فلان أكرم من حاتم الطائي، وكما قلنا، فإن فيه من فضائل العفة والفروسية والنجدة والفصاحة ما يتحلى به جوده، ولا يجوز إعقاله، فقلما نجد هذه الصفات مجتمعة في شخص واحد، كما وجدت في حاتم، فكان يفاخر بها ويرد على من يلومه في سخائه وتبذيره بقوله[3]:-

(1) المصدر نفسه: 72.

(2) ديوان حاتم الطائي:43.

(3) ديوان حاتم الطائي: 38.

يقولون لي: أهلكت مالك، فأقتصد، ... وما كنت، لولا ما تقولون، سيدا

وهويفاخر بحياة التصعلك والفقر كما يفاخر بحياة الغنى والسيادة، فيقول[1]:-

غنينا زماناً بالتصعلك والغنى ... وكلاً سقاناه بكأسهما العصر

فما زادنا بغياً على ذي قرابة ... غنانا، ولا أزرى بأحسابنا الفقر.

فحاتم سيد من سادات قومه وشاعر شهير وهومضرب مثل في الكرم والجود، ونبل الأخلاق، قال إبن الأعرابي[2] عنه " كان من شعراء العرب، وكان جواداً يشبه شعره جوده، ويصدق قوله فعله، وكان حيثما نزل عرف منزله، إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سئل وهب، وإذا ضرب بالقداح فاز، وإذا سابق سبق، وإذا أسر أطلق، وكان إذا أهل الشهر الأصم، الذي كانت مصر تعظمه في الجاهلية، ينحر كل يوم عشر من الأبل، فأطعم الناس وإجتمعوا إليه".

يقول في أحد أشعاره:-

كريمٌ، لا أبيت الليل، جادِ ... أعدد بالأنامل ما رزيت

إذا ما بت أشرب، فوق ريٍّ ... لسكر في الشراب، فلا رويت

إذا ما بت أختل عرس جاري ... ليخفيني الظلام، فلا خفيت[3]

إنه أبن النفس لا يخون جاره، ولا يعبد الدينار، ويرى أن الحياة سخاء وبذل في سبيل الثناء والمجد، فعلى الإنسان أن يكسب رزقه بالحلال، وأن يكون عفيف الجانبي، وهوكريم يوقد النار ليلاً في مكان مرتفع، لينظر إليها الظالون، فيهتدوا إلى مكانه، ويعود كلابه على النباح، ليسمع نباحها من بعيد:

إذا ما بخيل الناس هرت كلابه ... وشق، على الضيف الضعيف عقورها

---

(1) المصدر نفسه: 106.

(2) الأغاني: 18/ 120.

(3) ديوان حاتم الطائي: 25.

فــإن جبــان الكلــب بــيتي مـــوطأ　　أجـود، إذا مـا الـنفس شـح ضـميرها[1]

هكذا كان حاتم الطائي رجلاً فوق الرجال، وعلما من أعلام المـروءة العربيـة، كمـا أنه لم يكتفي بتقديم الأكل والشُرب للضيف بل كـان يـضاحكه ويداعبـه فيـسعد الـضيف وينشرح صدره، فهويقول[2]:-

أضـاحك ضـيفي قبـل إنـزال رحـــله　　ويخـــصب عنـــدي والمحـــل جـــديب

ومـا الخـصب للأضـيافي أن يكثـر القـرى　　ولكنمـــا وجـــه الكـــريم خـــصيـــب

وكان يعتبر نفسه عبداً لضيفه، فهويقول[3]:-

وإنــي لعبــد الـضيف مــا دام ثاويــاً　　ومــا فيَّ إلا تلـــك مـــن شـــيمة العبـــد

والكرم يتجسد في أسمى معانيها عند (عروة بـن الـورد)، فهـويعطي كمـا يتـنفس، وكما يشرب ويأكل بل أنه يعطي أكثر من ذلك، يعطـي اللقمـة، الـتي لـيس عنـده سـواه، لجائع يحتاجها، وقد نقل عن(عروة بن الورد) بأنه كان يأمن بالإشتراكية لأنه يعتمد كل مـا عنده قابلاً لمشاركة الضيف وطالب القرى والعطاء، فكـان فراشـه فـراش الـضيف، وبيتـه بيت الضيف، وهويلخص في فخره بنفسه، ملامح الضيافة العربية، فالضيف عنـده يقاسـم أصحاب البيت كل شيء، بردتهم، فراسهم، بيتهم، وله عليهم، فـضلاً عـن ذلـك، واجـب أن يسلوه حتى ينام وهويقول[4]:-

أرى كـل ريـح سـوف تـسكن مـرة　　وكـــــل سمـــــاء، ذات در، ســـــتقلع

---

(1) المصدر نفسه: 59.

(2) ديوان عروة بن الورد: 189.

(3) المصدر نفسه: 189.

(4) المصدر نفسه: 190.

فيبدوا أن (عروة) مهتماً بإعطاء حكمة مفادهـا أن الـتغير في طبيعـة الحيـاة، وإن لا شئ باقي على حاله، فالريح مهما عصفت وأشتدت، ستسكن حتمـاً في يـوم مـن الأيـام، والسحاب المحمل بالمطر، مهما دام تدفقه، سوف يتوقف لامحالة.

وعندما تتوهج الشمس في إلتماعها الأخير، قبل أن تغيب وراء الأفق، يطرح عـروة عباءته على الضعيف، فيلتفان بها معاً.

فإنـــك والأضـــياف في بـــردة، معـــا،   إذا مـــا تـــبص الـــشمس، ســـاعة تنـــزع[1]

والضيف عنـده عنـدما ينـزل الـدار، أصـبح هوالـسيد وعـروة التـابع لـه، ففراشـه يغدوللضيف، والبيت ايضا يصبح بيته، وفـضلاً عـن ذلـك يقـدم لـه عـروة نفـسه يرهنهـا لأمره، فلا يبعد عنه لأي سبب، فهويقول[2]:-

فراشي فراش الضيف، والبيت بيته،   ولم يلـــهيني عنـــه غـــزال مقنـــــع،

أحدثه، أن الحديث مـن القـــــرى،   وتعلـــم نفـــسي أنـــه ســـوف يهجـــع

فليس المهم، عند عروة، أن تطعم الضيف وتؤمن له نومه، بل المهـم أن تحله مكانـك وتشعره أنه صاحب البيت وأنك تابع له، همك إرضاؤه فتبقـى إلى جانبـه تحدثـه وتـسليه، بإنتظار أن يغلبه النعاس فينام، وهولا بد نائم، مهما طال شـهرةً، ويفيـد (عـروة) مـن معنـى البيـت الأول الذي يشير إلا إنه لا شئ يبقى على حاله، وإن التغير هومن طبيعة الحياة.

وأما مال (عروة) فمشترك بينه وبين جاره، ويقابل سـلوكه مـع الآخـرين في حـالي غناهم وفقرهم، بسلوكه معهم في حالي عـسره ويـسره، ويقـول إن جـاري لـه في كـل مـا أحصل عليه عطاء وحصة، وإذا غنيت، غني معي جاري.

فـإذا غنيـت، فـإن جـاري، نيـــله   مـــن نـــائلي، وميـــسري معهـــود

وإذا إفتقـرت، فلـن أرى متخـشعاً   لأخـــي غـــني معروفـــه مكـــدود[1]

---

(1) ديوان عروة بن الورد: 89.

(2) المصدر نفسه: 190.

وهويقول إذا أفتقرت لا أقف أبداً وقف الذّل والخضوع أمـام غـني شـحيح لم يعتـد العطاء إلا بعد لأي وإلحاح في السؤال.

إلا إن فضيلة الكرم العربية تذهب أبعـد مـن الإشـتراكية فتقـارب التـضحية، وقـد عرف ذلك عن حاتم الطائي، وما كان عـروة يقـل عنه إيغـالاً في هـذا الميـدان، إن عـروة يرهن نفـسه، فكـره وإنتباهـه، وجميـع إمكاناتـه لـضيفه، إنـه يلقـاه بالبـشاشة والترحـاب، فهويقول[2]:-

سـلي الطـارق المعـتر، يـا أم مالـك   إذا مـا أتـاني بـين قـدري ومجـزري،

أيـسفر وجهـي؟ أنـه أول القـرى   وأبـذل معـروفي لـه دون منكـري؟

يـريح علـي الليـل أضـياف ماجـد   كـريم، ومـالي، سـارحا، مـال مقـتر.

ثم يقف (عروة) وقفة على إدخال البهجة إلى نفـسه، يحدثـه ويـسليه ويجعلـه يـشعر بالراحة النفسية والإنبساط، ويبقى كـذلك إلى أن يغلـب الـضيف النعـاس فيهجـع ويفـك أسر عروة، ويتجاوز عروة بكرمه حدود القرى والضيافة، والعطـاء لمـن يطلـب، ويتجـاوز ذلك كله إلى المشاركة في رفع الأعباء عن قومه، ويسخر ما يملـك لتخفيـف البـؤس عـنهم في أيام البؤس، ويبذل كل ما عنده في تحمل الديات والجرائر عـن جماعتـه، إنـه كـرم يـشع وينشر ولا يعرف قيوداً أوحدوداً، وهوكرمٌ إيجابي متحرك لا سلبي جامد.

ولعل أطرف ما في عـروة أنـه يـستذكر أن يـصاب أنـاس مـن قومـه دون أن يقـوم بنصيبه في الدفاع عنهم، وهويقول[3] :-

أيهلـك معـتم وزيـد، ولم أقـم   علـى نـدب، يومـاً، ولـي نفـس مخطـر؟

---

(1)المصدر نفسه: 116.

(2) ديوان عروة بن الورد:153.

(3) المصدر نفسه: 157.

ويستعظم أن تلم بقومه ملمة دون أن يشارك في تحمل الحقوق، ويعدد موقفاً كهذا مرفوضاً تأباه نفسه، ويقول إنه لشيء فظيع ومستنكر أن تحل مصيبة بجماعتنا ولا يكون لنا دورٌ في دفعها عنهم!

فهو القائل[1]:-

أليس عظيماً أن تلم ملمة ... وليس علينا، في الحقوق، معول؟

ويتعالى عروة بكرمه إلى مستوى الإيثار، ويصعد حرارة الوفاء بحق الجار، فينقل موقفه من المشاركة والمناصفة إلى الإيثار، فهو إذا لم يكن لديه ما يشبع إثنين، ولم يملك إلا ما يشبعه وحده، ولمرةٍ واحدة فإنه يؤثر سائلاً بشعبته هذه، إذا كان السائل جائعاً وجاءه مستنجداً، وهو يقول[2]:-

وربت شبعة آثرت فيها ... يداً، جاءت تغير، لها هتيت

ويدمج عطاءه بنفسه حتى لنراه يحس أنه لايعطي الأموال وإنما يعطي ذاته، وهذا سبب هزاله، لأن من يتحمل الحقوق لن يستطيع أن يشبع، وهو يقول[3]:-

أقسم جسمي في جسوم كثيرة ... وأحسو قراح الماء، والماء بارد

ومن يؤثر الحق النئووب يكن به ... خصاصته جسم، وهو طيان ماجد

ويقول أيضاً[4]:-

أقب ومخماص الشتاء، مرزأ، ... إذا أغبر أولاد الأذلة أسفرا

وكان (عروة بن الورد) لم يكن يغير على كريم يبذل ماله للناس، بل كان يتخير لغارته من عرفوا بالشح والبخل، وإلى من لا يمدون يد العون للمحتاج في قبائلهم،

---

(1) المصدر نفسه:223.

(2) المصدر نفسه: 98.

(3) ديوان عروة بن الورد: 124.

(4) المصدر نفسه: 141.

ويتردد في أشعاره معان كثيرة رائعة، جعلت معاصرية ومن جاء بعدهم يعجبون به إعجاباً شديداً.

ومن المعاني الرفيعة التي جاءت في شعره، قوله[1]:-

إنــي إمــرؤ عــافي إنــائي شــركة	وأنــت أمــرؤ عــافي إنــاءك واحــد
أتهــزأ مــني سمنــت وأن تــرى،	بوجهي، شحوب الحق، والحق جاهد؟

إذ تعرض له بعض أصحابه يعيره بأنه هزيل شاحب اللون، فقال له:إنني يشركني كثيرون من ذوي الحاجة في طعامي، أما أنت فلا يشركك أحد، أنه يقسم طعامه بينه وبين الفقراء أوكما عبر عنها يقسم جسمه في جسومهم، بل كثيراً ما يؤثرهم على نفسه بكل طعامه مع جوعه ويكتفي بشرب الماء البارد في فصل الشتاء، فعروة لم يكن يغزوا للسلب والنهب وإنما كان يغزوليعين الهلاك والفقراء والمرضة والمستضعيف من قبيلته.

وفي تقديسه للكرم يبدوالبخل في نظره نقيصة كبرى، ويستنكر مواقف زوجته بأن تدعوه إلى إمساك اليد، أيا كانت الأسباب، ويؤكد أن البخل مكروه، مردود، مرفوض، لا يمكن لعروة أن يتقبله، سواء عطش أوروى، أنه والبخل ضدان لا يلتقيان أبداً وهويقول[2]:-

أفي نــاب منحناهــا فقــيراً	لــه، بطنابنــا، طنــب مــصيت،
وفــضلة سمنــة ذهبــت إليــه	وأكثــر حقــه مــا لا يفــوت
تبيــت علــى المرافــق أم وهــب،	وقــد نــام العيــون، لهــا كتيــت؟
وقــد علمــت ســليمى أن رأيــي	ورأي البخــل مختلــف شتيــت
وأنــي لا يــريني البخــل رأي،	ســواء أن عطيــشت وإن رويــت

(1) المصدر نفسه: 123.

(2) المصدر نفسه: 101.

وحين هجا آل سلمة بن الخرشب الأنباري، تلخص هجاؤه لهم بالبخل، فرسم لهم صورة فريدة في بخلهم، إنهم يبخلون في النهار ويبخلون في الليل، يبخلون ربيعاً ويبخلون شتاءً، وإن بخلهم يتجلى كيفما قلبت النظر فيهم، وهويقول[1]:-

أخذت معاقلها اللقاح لمجلس ... حول إبن أكثم، من بني أنمار

ولقد أتيتكم بليل دامس ... ولقد أتيت سراتكم بنهار،

فوجدتكم لقماً حبسن بخلة ... وحبسن، إذ صرين، غير غزار

معنوا البكارة والإفال كليهما، ... ولهم أضن بأم كل حوار

فإن بخل بني أكثم عند عروة يشمل جميع أنواع العطاء، فهم يضنون بالجمل الفتي، وهم يضنون بالفصيل الصغير، أما الناقة الأم فهم أضن بها وأشد تمسكاً.

وعروة بن الورد هوالفارس الجواد الكريم الذي يهب دون منة، وهوالرجل الساذج الذي ينظر إلى الغير نظرته إلى نفسه، ويحن على البائس المسكين كما يحن على ذوي القربى، وهويقول[2]:-

دعيني أطرف في البلاد لعلني ... أفيد غنى فيه لذي الحق محمل

فإن نحن لم نملك دفاعاً بحادثٍ، ... تلم به الأيام، فالموت أجمل

حتى قيل أن عبد الملك قال عن (عروة بن الورد): " من زعم أن حاتماً أسمح الناس، فقد ظلم عروة بن الورد[3]"

و"كان (عروة بن الورد) يسمى بـ (عروة الصعاليك) لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغنمه[4]".

---

(1) ديوان عروة بن الورد: 168.

(2) المصدر نفسه: 223.

(3) الأغاني: 3/ 74.

(4) تاج العروس: 7 / 153.

ولا ننسى بأن الدعوات المستمرة لشعراء الفرسان إلى التحلي بصفة الجود والكرم ومكارم الأخلاق، هي التي ترفع شعر الفروسية على أختلاف أحوال أصحابه، وتجعل هذه القصائد من الدرجة الرفيعة التي وصلت إليها.

الفصل الثالث

"الخصائص الفنية لشعر الفروسية"

المبحث الأول

الألفاظ والمعاني

يعتبر شعر الفروسية شعر كامل الصياغة من حيث إستعمال الألفاظ الفصيحة البعيدة عن أي تأثير أوأي لحن عامي، جارية على قواعد اللغة العربية جرياناً صحيحاً لا ضعف فيه ولا إلتواء.

فالشعر الجاهلي ولا سيما الشعر الفروسي منها يعد المصدر الأول من الناحية الزمنية لدراسة اللغة العربية، "فهومصدرها الأصيل الذي يمثلها، فهونقية وصافية من الشوائب محتفظة بأصولها الأدبية العالية، ولهذا السبب يستشهد بها النحاة بتراكيبها وجملها في مناقشاتهم اللغوية والنحوية، لأنها أقدم مصدر من المصادر العربية"[1] ولهذا السبب فالشعر الجاهلي له قيمة لغوية مهمة، يعتمد عليها الدارسون في دراساتهم اللغوية، فجاءة صورهم جميلة، وبألفاظ سهلة مكتملة الصياغة تامة التراكيب ليس فيها إطالة أوإطناب، فكانوا صادقين في تجربتهم، إصلاء في معاناتهم.

وكانت لغة الشعر" لغة منتخبة، جودها أفراد أوتوا نصيباً زائداً في الفصاحة والحس اللغوي والثروة اللفظية والمقدرة التعبيرية عما يفكرون ويشعرون"[2] .

وبسبب الرقي اللغوي في الشعر الجاهلي" أستوفت العبارة عند الشعراء مدلولها بدقة ووضوح فجاءة أسلوبهم متيناً قوياً جزلاً، فترى الشاعر منهم يبلغ المعنى بإيجاز وسرعة"[3].

نرى بأن الشاعر الجاهلي كان أكثر توفيقاً مما بعده، في تحقيق التوازن بين اللفظ والمعنى بحيث جاءت" الألفاظ موافقة ومعادلة للمعنى المنشود داخل البيت واحد دون الحاجة إلى بيت أخر يليه ليكتمل المعنى"[4] ، فهم كانوا ضد تجزئة المعنى في بيت أوأكثر.

---

(1) تأريخ العرب الأدبي، رينولد نيكلسون: 74.

(2) الشعر الجاهلي، محمد النويهي: 2/ 782.

(3) الشعر العربي قبل الإسلام: 137.

(4) تأريخ الأدب العربي قبل الإسلام، د. نوري حمودي القيسي: 130.

يقول (السموأل)[1] في قصيدةٍ له:-

صفونا فلم نكدر وأخلص سِرنا   إناث أطابت حملنا وفحولُ

فنحن كماء المزن مافي نصابنا   كهام ولا فينا يعد بخيل[2]

علونا إلى خير الظهور وحطنا   لوقت إلى خير البطون نزول

وأيامنا مشهودة في عدونا   لها غرر معلومة وحجول

وأسيافنا في كل يوم كريهةٍ   بها من قراع الدارعين فلول

معودة أن لا تسل نصالها   فتغمد حتى يستباحة قبيل

سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم   وليس سواءً عالم وجهول

فأشار الشاعر هنا إلى كرم المناصب والمناسب، وشبه صفاء أنسابهم بماء المطر عندهم، ويقول بأن وقائعنا مشهودة وتفللت سيوفنا بما نضارب بها الأعداء، في مشارق الأرض ومخاربها، ويقول وإن جهلتي فأسئل الناس عن وقائعنا.

فالشاعر لم يستخدم الألفاظ الصعبة على الفهم، أوالألفاظ الغريبة، ويتبين لنا بأن معنى قصيدته واضح وقريب التعبير، لا تكلف فيه ولا تصنع، وإستخدم الشاعر لغة بيئته التي يعيش فيها.

فالشعراء الجاهليون عندما كانوا يصفون أيامهم، كانوا يربطون بين القوة اللفظية والقوة الجسدية، حتى يكتمل المعنى ويجذب السامعين، وفي ذلك يقول (طه أحمد أبراهيم)[3] " فما كانت الألفاظ عند العربي مجرد أصوات يقذفها اللسان، وإنما كانت وسائل حاسمة للتأثير في سامعيها وفي إجتذاب من يخاطب بها أوتغنى له".

---

(1) ديوان السموأل: 76.

(2) المزن: السحاب.

(3) تأريخ النقد الأدبي عند العرب، طه أحمد ابراهيم: 76.

إن الشعر الجاهلي يمثل مرحلة متقدمة من رقي اللغوي، وهورقي لم يحدث عفواً فقد سبقته تجارب طويلة قبل هذا العصر، وما زالت هذه التجارب تنموتتكامل حتى أخذت الصياغة الشعرية عندهم هذه الصورة الجاهلية التامة، فالألفاظ توضع في مكانها والعبارات تؤدي معانيها بدون إظطراب، وهي " كامل الصياغة والتراكيب لها دائماً رصيد من المدلولات تعبر عنه وهي في الغالب مدلولات حسية، والعبارة تستوفي إداء مدلولها فلا قصور فيها ولا عجز"[1].

فالشعر في العصر الجاهلي ذات ألفاظ وأساليب"كامل الصياغة، تامة التراكيب، يؤثر الإيجاز، ويستخدم من المحسنات اللفظية والمعنوية ما تفرضه ظروف التجربة الشعرية وقدرات الشاعر، من غير أن يكون ذلك مقصوداً أومتكلفاً، بينما تبقى الألفاظ وثيقة الصلة بالحالة الشعورية التي تنتاب الشاعر أثناء نظم القصيدة، كما إن لكل غرض من أغراض الشعر ما يلائمه من ألفاظ ومعانٍ"[2].

فكانوا يحاولون أن يستخدموا الألفاظ ذات الجرس المميز ويشددون على رنين الكلمات، حتى يعطي نكهة مميزة لقصائدهم، ومثال ذلك كثير عند (عنترة بن شداد) فهويقول في قصيدةٍ له:-

ويح هذا الزمان كيف رماني	بسهام صابت صميم فؤادي
غيري إن مثل الحسام إذا ما	زاد صقلاً جاد يوم جلاد[3]
ولقيت الأبطال في كل حرب	وهزمت الرجال في كل واد
وتركت الفرسان صرعي بطعن	من سنان يحكي رؤوس المزاد
وحسام قد كنت من عهد شدا	د قديماً وكان من عهد عاد

(1) تأريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): 226.

(2) عيار الشعر، ابن طبا طبا العلوي: 6.

(3) يوم الجلاد: يوم القتال.

وقهــرت الملــوك شــرقاً وعزبــاً   وأبــدت الأقــران يــوم الطــراد[1]

فمن خلال هذه القصيدة يتبين لنا بأن ألفاظه سهلة وواضحة وذات معنى واضح وبسيط، لا تكلف فيها، وكذلك الحال لأغلب قصائد الفروسية في العصر الجاهلي.

"إن ثروة العصر اللغوية والمستوى الراقي الذي بلغته هذه اللغة في نضجها وتوحدها، هما مصدر الشاعر في صياغة تجربته بما ينتقي في نفائس هذه اللغة، على وفق ذوقه وتأثير أحاسيسه، أومشاعره، وبيئته، وطبيعة التجربة التي أوحت القصيدة"[2].

والمعاني الشعرية جاءت واضحة وبسيطة لأنها عالجت الحياة الواضحة البعيدة عن الحضارة، والصدق في التعبير من مظاهر هذه البساطة الشعرية حيث نقل الصور ومشاهد نقلاً يكاد يكون أميناً، ولذلك يعد وثيقة دقيقة لمن يرد أن يعرف حياته وبيئته.

حيث نرى الصدق" في إنفعالات الشعراء وعواطفهم وفي تسجيل الوقائع والذكريات وتصوير النصر بصورته الحقيقية، من غير غلوولا مبالغة وإقرار بالهزيمة والنكوص إذ دارت الدائرة على قومهم"[3] ، وذلك أنهم يتحدثون عن أحوال رأوها وتجارب مارسوها وذكرياتٍ أحسوابها، " فهوشعر يصور نفسية الفرد وما يختلج من عواطف وأحاسيس في شتى الأغراض التي يطرقها الشاعر، من حماسة وفروسية إلى بكاءٍ ثم عتابٍ وإعتذار"[4].

وهناك بعض الشعراء الفرسان كانوا يستعملون الألفاظ التي توحي بالمعنى، وتشعر بالحركة، فـ (عنترة بن شداد) [5] حين يريد وصف صاحبته عبلة بجمال العينين، يختار

---

(1) يوم الطراد: أي يوم يطارد الخصم خصمه كالصياد وفريسته.

(2) الشعر العربي قبل الإسلام (رسالة دكتوراه)، مصعب حسون الراوي: 138.

(3) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوري: 84.

(4) تأريخ العرب الأدبي: 70.

(5)ديوان عنترة بن شداد: 37.

لذلك صورة يبث فيها لوناً من الحركة الرشيقة، حركة الشادن، ولد الغزال، حين ينظر إلى أمه في دلال وحب الوحيد لأمه، فيقول:-

وكأنما نظرت بعيني شادن رشأ من الغزلان ليس بتوأم

وهوحين يصف طيب رائحتها، يعبر عن ذلك من خلال صورة، تتألف من عناصر عديدة فيها: حياة وحركة، فيقول:-

وكأن فارة تاجر بقسيمة سبقت عوارضها إليك من الفم

أوروضة أنفاً تضمن بنتها غيث، قليل الد من ليس بمعلم

جادت عليها كل عين ثرة فتركنا كل حديقة كالدرهم

فيصف هذه المرأة حين تهوى إليك لتقبلها، تنتشر من فيها رائحة طيبة كالمسك تسبق عوارضها إلى أنفك.

وهناك بعض الشعراء يظطر إلى تكرير اللفظ الذي يحاول به تقويم النغم، والتشديد على رنين الكلمات، أوإستعمال بعض الحروف التي تمتاز بجرسها المميز، يقول(زهير بن أبى سلمى) [1]:-

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هوعنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها، تبعثوها ذميمة وتضر إذا أضريتموها فتضرم

فتعرككم عرك الرحى بثفالها وتلقح كشافاً ثم تحمل فتتئم!

فتنتج لكم غلمان أشأم، كلهم كأحمر عاد، ثم ترضع فتفطم،

فتغلل لكم مالا تغل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم

رعوا ما رعوا من ظمئهم، ثم أوردوا غماراً تسيل بالرماح وبالدم

(1) ديوان زهير بن أبى سلمى: 61.

فقضوا منايا بينهم، ثم أصدروا إلى كلأ مستوبل، متوحم

فهذه الكلمات أعطى للقصيدة من الناحية الفنية، إلى ما تحققه من أثر في نفس قارئها، وما توحي به إليه من كراهة الحرب، وبشاعة نتائجها.

فالشعراء الفرسان كانوا يعبرون عن مناظر الصحراء بأسلوب قوي متين، ويختارون الألفاظ الجزة التي تقوم بتأدية المعاني الشديدة التي تمثلها قسوة الصحراء وخشونة عيشها، وبخاصة في موضوعات الحماسة والفخر والوصف، أما في الموضوعات العاطفية، فالشاعر يرق ويتخير ألفاظاً عذبة هادئة سلسلة سهلة، تعبر عن الحب والحنان والعطف والرقة.

فالشاعر الجاهلي ولا سيما الشعراء الفرسان، كانوا يعتمدون على الحسية في التعبير عن المعاني المختلفة، وذلك لما في تلك المعاني الحسية من حركية وحيوية نابعة من طبيعة الشاعر البدوي، وهي طبيعة إنتقالية لم تكن تعرف الثبات والإستقرار فهوفي إنتقالية وحركة مستمرتين، لذلك جاءت أوصافهم رغم كونها حسية، متحركة تبعث من النفس الرغبة في الإستماع إليها وتذوقها، وهذه الحركة السريعة في الحياة البدوية جعلت معاني القصيدة الجاهلية سريعة، ويمكن أن نلاحظ ذلك في قصائد(عنترة بن شداد) و(عروة بن الورد) و(السموأل) وشعراء أخرى كثيرون.

يقول (عنترة بن شداد)[1] عند مبارزته (مسحل بن طرائق الكندي) وكان المذكور قد خطب عبلة من أبيها عندما هرب من بني شيبان إلى ديار كندة:-

أمسحل دون ضمك والعناق طعان بالمثقفة الدقاق

وضربة فيصل من كف ليث كريم الجد فاق على الرفاق[2]

ودون عبيلة ضرب المواضي وطعن منه تكتمل المآقي[1]

(1)ديوان عنترة بن شداد: 122.

(2)ضربة فيصل: أي ضربة فاصلة.

أنــا البــطل الـذي حـبرت عنـه وذكـــري شـاع في كـل الآفـاق

إذا أفتــخر الجبـان بـبـذل مـال ففخـــري بالمــضـمرة العتــاق[2]

وإن طعـن الفـوارس صـدر خـصـم فطعــني في النحــور وفـي التراقـي

وإنـي قـد سبقـت لكـل فـضـل فهـل مـن يرتقـي مـثلي المراقـي

ألا فاخـبر لـكـنـدة مـا تــراه قريبـاً مـن قتـالٍ مـع محـاق

وأوصـهم بمـا تختـار منهـم فمـالك رجعـة بعـد التلاقـي

وحـين نلاحـظ هـذه الأبيـات تتـبين لنـا حـرص الـشاعر علـى تـسجيل مـشاعره وأحاسيسه تجاه الحياة والناس في لغة شعرية تتخذ من (الصورة) أساساً للبناء الشعري.

ومن تلك الـصور الفنيـة الجميلـة قـول (عـروة بـن الـورد) [3] وهويـصور إنـدفاع الفرسان في غزوة صعلوكية نموذجية ويقول:-

سـتفزع، بعـد اليـأس، مـن لا يخافنـا، كواسـع في أخـرى الـسوام المنفـرِ،[4]

يطـاعن عـنها أول القـوم بالقنـا وبـيض خفـاف ذات لـون مـشهر

فيومـاً علـى نجـد وغـارات أهـلها، ويومـاً بـأرض ذات شـثٍ وعرعـرِ[5]

وهكذا تمضي الأيام بالـصعاليك: يـومٌ يغـيرون فيـع علـى بـلادِ نجـد وأهـل نجـد، يسوقون المواشي، يقودونها إلى الجبال حيث الشث والعرعر، وهناك يمضون يومهم الآخـر في إستهلاك ماغنموه.

---

(1) المواضي: السيوف.

(2) العتاق: الكريمة.

(3) ديوان عروة بن الورد: 154.

(4) كواسع: الخيل التي تطرد الإبل. السوام: الأبل التي أخرجت إلى الفلوات. المنفر: المستنفر.

(5) الشث: من شجر الجبال. العرعر: شجر يقال له (السماسم).

وأجمل صفة من صفات الشعر الفروسي، هي ما إمتزج فيه الفخر والحماسة بالألم والشكوى، وصادم الحزن واليأس روح البطولة والإقدام، فإن تضارب هذه العوامل المختلفة يخلق للشعر جواً رائعاً يؤثر في النفس ويستولي على المشاعرن وعلى سبيل المثال" فأجمل حماسيات (عنترة بن شداد) ما ظهرت فيه آلامه وشكاياته لتعيير الناس له بسواده وضعة نسبه، أولحرمانه عبلة التي يحبها ولا يستطيع الوصول إليها"[1]

يقول في ذلك (عنترة بن شداد) [2]:-

ألا يا عبلة! قد عاينت فعلي	وبان لك الضلال من الرشاد
وإن أبصرت مثلي فاهجريني	ولا يلحمك عار من سوادي
وإلا فاذكري طعني وضربي	إذا ما لج قومك في بعادي
وبددت الفوارس في رباها	بطعن مثل أفواه المزاد
عدوا لما رأوا حد سيفي	نذير الموت في الأرواح حاد
وعدنا بالنهاب وبالسرايا	وبالأسرى تكبل بالصفاد

ففي هذه الأبيات يفخر الشاعر بنفسه ويخاطب محبوبته فهويقول لها إن رأيت شجاعاً مثلي في قومك فحق لك أن تهجريني وحيث أن لا أحد يماثلني منهم، وإذا ألح القوم عليك في هجري فتذكري شجاعتي ولا تصدقيهم.

فالشاعر يتباهى بفروسيته وبطولته في غزواته ومعاركه، فيعرضها أمامها، ويمتزج الغزل بالحماسة، وتصطبغ عرائس الوحي بغبار المعامع ودماء الفرسان.

فالشاعر صار لايأتي" غرضاً من أغراض الشعر إلا إستبان له فيه مادة الفخر ترضى عنها أنانيته، أويرضى بها عصبيته القبلية"[3].

(1) الشعراء الفرسان: 13.

(2) ديوان عنترة بن شداد: 32.

(3) الشعراء الفرسان: 9.

ويميز شعر الفروسية بصدق التعبير وحرارة العاطفة، فقد كانت أغلب تلك المقطوعات الحماسية إستجابة نفسية صادقة لواقع المقاتل العربي وهوفي غمار المعركة، وإنعكاساً طبيعياً عما يدور في وجدانهه من إنفعال وحنين إلى أهله وقبيلته.

يقول (تأبط شراً)[1] قبل موته هذه الأبيات يصف فيها خوفه وحسرته من أن يلقي حتفه قبل أن يحقق ما يرغب فيه من الغزو:-

لعلــــي ميــــت كمــــداً ولمــــا أطـــالع أهـــل ضـــيم فـــالكراب[2]

وإن لم آتِ جمـــع بـــني خثـــيمٍ وكاهلـــها برجـــل كالـــضباب[3]

إذا وقعـــت بكعـــب أوقـــريم وســـيارٍ فيـــا ســـوغ الـــشرابِ[4]

وهذه صورة مؤثرة، حيث سكب الشاعر في هذه الأبيات أعمق أحزانه ومشاعره الإنسانية في تدفق وحرارة وصدق.

ويمتاز معاني شعر الفروسية بالسلالة والوضوح والبساطة والعفوية بعيدة عن التكلف أوالإغراق في الخيال، فالشاعر الفارس واقعي في التعبير عن عواطفه وأفكاره فهويحاول أن ينقلها إلى سامعيه نقلاً واقعياً أمنياً مبقياً على صورها الحقيقية، وقصائدهم كان في أحيان كثيرة خالياً من الألفاظ الغريبة والحوشية المعقدة، ومن تلك النصوص الشعرية التي تتسم بالسلالة والوضوح ما قاله (زهير بن أبي سلمى)[5] حين زار بني تميم فوجدهم يحشدون لغزوغطفان فقال فيهم:-

ألا أبلـــغ لـــديك بـــني تميـــم وقـــد يأتيـــك بـــالخبر الظنـــون

---

(1) ديوان تأبط شراً: 18.

(2) الكمد: الحزن الشديد. الضيم: الظلم. الكراب: مجاري الماء في الوادي.

(3) الكاهل: السند. الرجل: جمع راجل وهوالسائر على قدميه.

(4) كعب وقريم وسيار: أسماء أقوام يبدوأن تأبط شراً كان قد أوقع بهم غزوات كثيرة.

(5) ديوان زهير بن أبي سلمى: 73.

بـــأن بيوتنـــا بمحـــل حـــجر	بكـــل قـــرارة منهـــا نـــكون[1]
إلى قلـــهى تكـــون الـــدار فيـــا	إلى أكنـــاف دومـــة فالحـــجون[2]
بأوديـــة أسافلـــهن روض	وأعلاهـــا إذا خفنـــا حـــصـون
نحـــل بـــسهلها فـــإذا فزعـــنا	جـــرى مـــنهن بالأصـــلاء عـــون[3]
وكـــل طوالـــة وأقـــب نهـــد	مراكلـــها مـــن التعـــداء جـــون[4]
تـــضحو بالأصـــائل كـــل يـــوم	تـــسن علـــى ســـنابكها القـــرون[5]
لـــه لقـــب لبـــاغي الخـــير ســـهل	وكيـــد حـــين تبلـــوه متـــيـــن[6]

فهوشعر مطبوع ينأي عن الألتواء والتعقيد، ولعل ذلك يعود إلى ما كـان يعـترض حياة الشاعر الفارس من شواغل المعركة فهذه الظروف التي كان يمربها الشاعر لم يـترك لـه المجال ليتأنق في ألفاظه ويـتروى في تنقيحهـا أوإختيـار معانيـه وصـوره الـشعرية، فكـان في الغالب يعبر عما يعتريه من أحاسيس وإنفعالات آنية دون تكلف أومكابدة.

يقول (طرفة بن العبد) [7] في وصف الخيل:-

ولقـد شـهدتُ الخيـل وهـي مغـيرة	ولقـــد طعنـــت مجـــامع الـــربلات[8]

---

(1) جر: إسم لمكان في الحجاز.

(2) قلهى، دومة، حجون: أسماء لأماكن.

(3) العون: جماعات من الحمير.

(4) طوالة: صفة للفرس الطويل. الأقب: هوالفرس الذي ضمر بطنه. التعداء: الفرس الشديد العدو. الجون: هوالأسود اللون.

(5) السنابك: جمع سنبك، وهومقدم حافر الفرس.

(6) باغي الخير: الباحث عنه، تبلوه: أي تختبره.

(7) ديوان طرفة بن العبد: 17.

(8) مغيرة: مهاجمة، الربلات: جمع ربلة، وهي باطن الفخذ.

ربـلات جـود، تحـت قـد بـــارع حلوالـــشمائل خـــيرة الهلكـــات[1]

ربلات خيـل، مـــــا تـزال مغـيرة يقطـــرن مـــن علـــق علـــى الثنـــات[2]

وهكذا نرى القدرة على براعة التصوير لدى شعراء الفرسان من خلال قصائدهم البعيدة عن التكلف وواضحة المعنى.

(1) الشمائل: جمع شميلة، وهي الصفة الحسنة.

(2) العلق: هوالدم.

المبحث الثاني

الخصائص الأسلوببة والبلاغية

يعد قصائد الفروسية وثيقة تأريخية مهمة، لمرحلة العصر الجاهلي فقد صور هذا الشعر الحماسي بصدق ودقة، كثيراً من الأحداث والوقائع الحربية في تلك المراحل من حياة العرب، ولهذا يمكن الإعتماد عليه في الكشف عن كثير من الحقائق التأريخية، ويوجد في قصائد الفروسية صورة حقيقية لواقع الحياة الجاهلي، ونرى ذلك من خلال رصد أحداثها وتصوير أحوال الناس والكشف عن معانتهيم وما يدور في خاطرهم.

ومن خلال دراستنا لقصائد شعراء الفروسية نرى بأنه تميز بعدة خصائص أسلوبية يمكن ذكر أهمها فيما يأتي:-

إن أغلب شعر الفروسية كان مقطوعات قصيرة، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة الظروف التي نشأ في ظلها هذا الشعر، وطبيعة الحياة الجاهلية وما فيها من نقلة سريعة وحركة دائبة غير مستقرة، ومناخ الصحراء الشديد في حره، جعلهم لا يطيلون في شعرهم، فكانوا يقفون عند المعنى وقفة سريعة، سرعان ما يتركونه لغيرهم، ولم تتح تلك المواقف الحرجة الخاطفة للشاعر أن يسهب في عرض أفكاره، وما يجول في جزئيات الأحداث ودقائقها، ومن هنا كان الإيجاز سمة واضحة فيه، وقلما رأينا في هذا الشعر قصائد طويلة.

يقول (دريد بن الصمة) [1] في يوم اللوى:-

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى   فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

فلما عصوني كنت منهم، وقد أرى   غوايتهم، وإنني غير مهتد

وهل أنا الا من غزية أن غوت   غويت، وإن ترشد غزية أرشد [2]

---

(1) وهودريد بن معاوية بن بكر بن علقمة بن خزاعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر، الفارس المشهور توفي حوالي سنة (8هـ)، ديوانه: 40.

(2) غزية: قوم دريد.

دعاني أخي، والخيل بيني وبينه | فلما دعاني لم يجدني بقعددِ[1]
أخي أرضعتني أمه بلبانها | بثدي صفاء بيننا لم يجدد[2]
تنادوا، فقالوا: أردتُ الخيل فارساً | فقلت: أعبد الله ذلكم الردي
فجئت إليه والرماح تنوشه | كوقع الصياصي في النسيج الممدد[3]
فطاعنت عنه الخيل حتى تبددت | وحتى علاني حالك اللون أسودي
فحارمت حتى خزقتني رماحهم | وعودرت أكبو في القنا المتقصد[4]

فنرى الشاعر أعتمد في قصيدته على القصص الموجزة بعيدةً عن التطويل في وصفه للوقائع، وكانوا يلمحون بالجزئيات في قصائدهم أكثر من الكليات فإذا وصف شيء ما، وصفه جزأ جزأ حتى يحيط بالجانب البارز منها، وإكتفى بالتعبير الموجز على ما يدور في نفسه وخاطره، فإذا وصفوا معركة ما، أكتفى ببضعة أبيات، نرى جواده وسيفه ورمحه وبطشه بالأعداء ويصف سرعة خيله، فهويعطينا وصفاً جزءياً للمعركة دون وحدة موضوعية متلاحمة.

ويقول (طرفة بن العبد)[5] عن يوم حرب البسوس، وهواليوم المعروف بتحلاق اللمم حين أمر الحارث بن عباد بني بكر بأن يحلقوا رؤوسهم حتى يعرف بعضهم بعضاً، وكان هذا اليوم لبكر على تغلب، فأنشدوا قال:-

سائلوا عنا الذي يعرفنا | بقوانا يوم تحلاق اللمم

---

(1) القعدد: الجبان.

(2) لم يجدد: لم يقطع فيذهب.

(3) الصياصي: جمع صيصة، وهي شوكة.

(4) القنا المتقصد: الرماح المتكسرة.

(5) ديوان طرفة بن العبد:83.

يـوم تبـدي البـيض عـن أسـوقها وتلـف الخيـل أعـراج الـنعم[1]

أجـدر النـاس بـرأس صـلدم حـازم الأمـر شـجاعٍ في الـوغم[2]

كامـل يحـمل آلاء الفتـى نبـه سـيد سـادات خـضم[3]

خـير حـي مـن معـد علـموا لكفـي ولجـار وإبـن عـم[4]

يجـبر المحـروب فينـا مالـه ببنـاء وسـوامٍ وخـدم[5]

قـدماً تنـضـوإلى الـداعي إذا خلـل الـداعي بـدعوى ثـم عـم[6]

بـشباب وكـهـول نهـد كليـوث بـين عـريس الأجـم[7]

نمـسك الخيـل علـى مكروهـها حـين لا يمـسك إلاذوكـرم[8]

نـذر الأبطـال صـرعى بينـها تعكـف الإعقبـان فيهـا والـرخم[9]

فالشعراء الفرسان غالباً ما يتناولون موضوعاً واحداً، أوهدفاً واحداً يضعونه نصب أعينهم ويحاولون الوصول إليه من خلال أبياتهم الشعرية، وهم في أغلب الأحيان يستغنون عن الهياكل التقليدية التي قدسها الشعراء الجاهليون، فكانوا يقصدون مباشرةً إلى

---

(1) البيض: هن النساء الحرائر. الأعراج: جمع عرج، وهوالقطيع من الإبل.

(2) الصلدم: الشديد القوي. الوغم: من أسماء الحروب.

(3) الخصم: هوالسيد في أهله الكثير العطاء والهبة

(4) الكفي: الند والمماثل في كل شيء.

(5) المحروب: من سلب ماله.

(6) الداعي: المستغيث.

(7) نهد: جمع ناهد وهوالبارز.

(8) المكروه: أي ما تكرهه الغيل.

(9) الرخم: نوع من الطير.

موضوعهم بتسلسل وتواصل ومتابعة، بلا مقدمات تقليدية أوغير غير تقليدية، وكان يدور في الغالب حول فكره واحدة، وينعدم فيه تعدد الأغراض.

أنشد (النابغة الذبياني) [1] يحرض قومه:-

إن يسلم الحارث الحراث تعترفوا ... جيشاً مغيراً على ثهلان أوخطرا

ماد الجياد من الغربي منعلة ... حتى هبطن بلاداً تنبت العشرا

قب البطون طواها القوم فاندمجت ... قضين باللوذ مما حملت وطرا

يوما حليمة كانا من قديمهم ... وعين باغٍ، فكان الأمر ما ائتمرا[2]

ياقوم إن إبن هند غير تارككم، ... فلا تكونوا، لأدنى وقعة، جزرا[3]

أني أخاف عليهم حول ذي لبدٍ ... في عارضٍ لابن هند يمطر الشدرا

وإستعمال التشبيهات على هذا الشكل لون من ألوان البساطة والقصد إلى الإيجاز، حيث إن الشاعر لا يستطيع ذكر تفاصيل الشئ الذي يريد التعبير عنه، فيلجأ إلى ذكر شئ شديد الشبه به، ومعروف لدى الشاعر والسامع فيكتفي به وبمجرد ذكره عن التعرض لدقائق الموصوف.

فكانوا يحاولون التأثير في سامعيهم، بطائفة من المحسنات اللفظية والمعنوية، و" أكثرها دوراً في أشعارهم التشبيه، فلم يصفوا شيئاً إلا قرنوه بما يماثله ويشبهه من واقعهم الحسي"[4] يقول (إمرؤ القيس) [5]:-

---

(1) ديوان النابغة الذبياني: 65.

(2) يوما حليمة: وقعة مشهورة قتل فيها المنذر أبن ماء السماء، وحليمة هي بنت الحارث أبن أبي شمر الغساني، عين باغٍ: تقع بين الكوفة والرقة.

(3) الجزر: كل مباح للذبح.

(4) تأريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي):228.

(5) ديوان إمرئ القيس: 76.

أيقـــتلني والمـــشرفي مـــضاجعي ومـــسنونة زرق كأنيـــاب أغـــوال.

لقد إستعملوا الشعراء الفرسان جميع ألوان البيان، وأتى إستعمالهم لها طبيعياً لا تكلف فيه، فما كان منهم الفارس أن يأتي بتشبيه أوإستعارة أوكناية، وإنما كان همة الأول والأخير أن ينقل ما يشغل نفسه وخاطره نقلاً دقيقاً إلى غيره بحيث يتأكد أن غيره أصبح على فهم بما يجري من الوقائع والصور، وكان هم الشاعر هوأن يوصل إلى المتلقي ما شاهده من حروب وما يجري في ساحة المعركة، كأنه يرى ويسمع ويحس كما رأى الشاعر ويسمع وأحس بما يجري، وكأن القبيلة بصفة عامة عندما عجزت عن هذا التسجيل أنابت القادرين من شعرائها ونابغيها أن يقوموا بهذه المهمة الضرورية لها، مادامت تحرص على أن تفاخر غيرها وتطاوله بحالها من مجدٍ وسؤدد.

ونجد عند الشعراء الجاهليون الإستعارة بفرعيها في التصريحية والمكنية ومن أمثلتها الطريفة، قول أمرئ القيس، يصور طول الليل وفتوره وبطئه ببعير جاثم لا يريم، إذ يقول في معلقته[1] مخاطباً الليل:-

فقلـــت لـــه لمـــا تمطـــى بـــصلبه وأردف أعجـــازاً ونـــاء بكلكـــلِ[2]

ويخاطب (حاتم الطائي)[3] ويقول:-

يا منزلاً أعطى الحوادث حكمها لا مطـــل في عـــدة ولا تـــسويـفا

أرسى بناديك الندى وتنفست نفـــساً بعقوتـــك الريـــاح ضعيفـــا

ولـئن ثـوى بـــك ملقيـا بجرانـه ضـيف الخطـوب لقـد أصـابة مـضيفا

فهوفي هذا النص يتحدث عن كلمة مضيف التي إستعملها الشاعر في باب الإستعارة مبيناً قرينتها التي من أجلها أنصرف الذهن.

---

(1) نفس المصدر: 76.

(2) الكلكل: الصدر.

(3) ديوان حاتم الطائي: 92.

وأما لبيد[1] فيتحدث عن كرمه وقت الجدب والبرد، وكيف دفع عن الجياع هذه الشدة:-

وغداة ريح قد وزعت وقرةٍ   إذا أصبحت بيد الشمال زمامها

فلونظرنا إلى هذا التخيل وكيف جعل للغداة زماماً وللشمال يداً تتحكم في زمام الغداة، ويقف عند منظر غروب الشمس وحلول الظلام فيقول[2]:-

حتى إذا ألقت يداً في كافرٍ   وأجن عورات الثغورِ ظلامها

فقد ألقت الشمس يدها في يد الليل وهوالذي سماه كافراً أي ساتراً، وصور لبيد[3] تقوم على الإستعارة كثيرة، وهي من النوع الذي يسميه البلاغيون بالاستعارة (المكنية)، وهي أعز مطلباً وأبعد منالاً من (التصريحية)، وسر الجمال فيها هذا الخيال البعيد الذي لا يأتي إلا للشعراء القادرين المبدعين.

ونجد أيضاً أستعارات جميلة لدى شعراء أخرى ومنهم (أوس بن حجر) [4] في قوله:-

وإني أمرؤ أعددتُ للحربِ بعدما   رأيت لها ناباً من الشرِّ أعصلا

ويصف (طفيل الغنوي) [5] ناقته:-

وجعلت كوري فوق ناجيةٍ   يقتات شحم سنامها الرحل

وعبروا عن صورهم الجميلة بالكناية أيضاً، وهي أسلوب من التعبير يعتمد على إيجاز العبارة أوادماج أجزائها، وإستعمال الكناية تدل على براعة الشاعر في صياغة

---

(1) هولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية، توفي حوالي (40هـ)، ديوانه: 124.

(2) المصدر نفسه: 316.

(3) ينظر (الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه): 121.

(4) هوأوس بن حجر بن مالك شاعر تميم من شعراء الجاهلية وفحولها وهومن الطبقة الثانية عند ابن سلام الجمحي، توفي حوالي سنة (620م)، ديوانه: 83.

(5) ديوان طفيل الغنوي: 21.

معانيه بأسلوب رفيع وعبارة موجزة دالة وموحية، يقول (نابغة الذبياني) [1] في رفاهية الغساسنة وعفتهم:-

رقاق البغال طيب حجزاتهم　　　يحيون بالريحان يوم السباسب

ويعبر (لبيد) عن كثرة فرسان قومه بني جعفر فيقول[2]:-

ولقد أراني تارة في جعفر　　　في مثل غيث الوابل المتحلب

أما صورة الأعشى ففيها دقة وأبداع، فهويقول في سرعة ناقته عند الظهيرة[3]:-

بجلالة سرح كأن بغرزها　　　هرا إذا أنتعل المطي ظلالها

وهكذا نجدهم لم يتركوا جانباً من جوانب التعبير الفني والتصوير البديع إلا طرقوه وأفادوا منه، سواء كان ذلك بإستعمالهم وسائل التحسين البيانية المعنوية، أوالمحسنات البديعية اللفظية وكلها تدعم الصورة الشعرية وتعطيه حسناً وجمالاً.

وإهتمام الشاعر الجاهلي بالايجاز، والتنقل السريع المشتق من واقع بيئته جعله يستعمل كثيراً من التشبيهات والإستعارات وبعض المحسنات اللفظية والمعنوية كالطباق والجناس ولكنها كانت إستعمالات عفوية طبيعية غير مقصودة تمثل غنى القصيدة الجاهلية وأصالتها[4].

والشعر الجاهلي بشكل عام "صوره متشابهة وإستعاراته واحدة يستخدمها الشعراء إستخداماً موفقاً، وينتزعون منها ما يساير الصورة التقليدية وكذلك الأفعال والألفاظ والحروف فكانت تأخذ نسقها متتالية لا يتقدم فعل على آخر، ولا يستخدم في غير ما وضع له، ولم نجد حرفاً أوأسماً إلا وقد أخذ مكانه في سياق القصيدة حتى أصبح بإمكاننا

---

(1) ديوان النابغة الذبياني:63.

(2) وهوأبوعقيل لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب، روي أنه عاش (140) سنة، توفي حوالي سنة (41هـ)، ديوانه: 157.

(3) ديوان الأعشى: 23.

(4) تاريخ العرب الأدبي: 74

أن نرتب الأبيات بشكل تقريبي حتى وإن كانت متفرقة وهذا دليل يكشف عن الصفة التي تتمتع بها القصيدة والخاصية التي تميزت بها الأبيات[1] .

ومن خلال دراستنا للقصائد الجاهلية ولا سيما شعراء الفرسان، يتبين لنا بأنهم كانوا يحرصون على أن تكون صورهم مطابقة للواقع، ومشابهة له، ويتمايز هذه الصفة في الشعراء وفقة خبرتهم ومقدرتهم الفنية وإستخدامهم كل صفة في المكان المعين، وإنه غالباً ما يرتبط بحياتهم اليومية محاولاً أن يكون سجلاً لها، وهوغالباً ما يعبر عما يعبر في نفس الشاعر ولهذا السبب كان قصائدهم واقعية ووجدانية.

ولعل كثرة إستخدام التشبيه في الشعر الفروسية يرجع إلى قرب الصورة للمشاهد وإلى الإيجاز في الكلام، حيث يقرب المعاني البعيدة ويركزها في صورة قريبة محسوسة، ولذلك كان التشبيه في الشعر الفروسية أكثر الأغراض البيانية إستخداماً.

يقول إمرؤ القيس[2]:-

ومستلئم كشفت بالرمح صدره   أقمت بعضب ذي سفاسق ميله

فجعت به في ملتقى الحي خيله   تركت عتاق الطير تجعل حوله

كأن على سر باله نضح جريال

فالتشبيه " عمدة الصور الفنية لأنه فكر يقوم أساساً على التشابه[3] .

كان أمرؤ القيس يعتمد على التشبيه في صوره الشعرية وهناك أمثلة عديدة عليها في شعره، كما قلنا، ولكن (زهير بن أبي سلمى)[4] يعتمد على الإستعارة أكثر من

---

(1) تأريخ الأدب العربي قبل الإسلام: 143

(2) ديوان أمرؤ القيس: 150.

(3) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، د. نصرت عبد الرحمن: 183.

(4) ديوان زهير بن أبى سلمى: 74.

إعتماده على التشبيه، فقد تطور بالتشبيه إلى الإستعارة[1] كما نراه يقول في وصف الحرب:-

إذا لقحت حرب عوان مضرة ضروس تهر الناس، أنيابها عصل

فهويستعير لوصف الحرب، البعير العجوز الذي صار سيئ الخلق، وصارت أنيابه عصلا، أي كالحة معوجة، يريد بذلك أنها حرب قديمة لإستمرارها وإلحاح القبائل المتحاربة عليها حتى طال بها الأمر كما طالن الحياة بهذا الحيوان!

فالحياة التي عاشها العربي في بيئته البدوية ذات الطبيعة الصحراوية، وإدراك خصوصية الظروف التي كانت تفرظها مثل هذه البيئة، يساعدنا في تصور العوالم التي كان يستمد منها الشاعر خياله وتشبيهاته فتأثير البيئة المحدودة، والمشاهد المتشابهة ترك أثره في الشاعر، لأن الشاعر فنان صانع يصوغ معانيه، ويجسد أفكاره بالإستعانة بما توفره له بيئته وحياته، وما يقدمه واقعه ومحيطه.

فوجوه الصورة البلاغية والمجازية من تشبيه وإستعارة ومجاز وكناية وفنون بلاغية أخرى، معظمها منتزع من واقع حياتهم وبيئتهم بصحرائها، وحيوانها، ووحشها، فظلاً عن مظاهر الطبيعة التي كانت تترأى لهم يوماً بنورها وظلامها، وسحابها ومطرها، ورعودها وبروقها.

ولهذا فقد كان معظم حديث الشعراء الجاهليين مستنبطاً مما شاهدوه أوأحسوه، وكانت أوصافهم مستمدة من هذه المظاهر التي إمتد إليها نظرهم، أومن صميم البيئة التي عاش فيها، وكانوا يحرصون على أن تكون صورهم مأخوذة من واقعهم المحسوس.

فالرماح في أيدي القوم كأشطان البئر كما شبهها (سلامة بن جندل) [2] في قوله:-

كأنها بأكف القوم إذ لحقوا مواقع البئر أوأشطان مطلوب

(1) ينظر (الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية)، د.ابراهيم عبد الرحمن: 224.

(2) المفضليات: 1/ 121.

ما ذكرناه كلها محسنات إستخدمها الشعراء الجاهليون في قصائدهم، حتى يؤثروا في نفوس سامعيهم، وهي تصور مدى ما كان يودعه قصيدته من جهد فني، ولا سيما من حيث التصوير ودقته وبراعته.

فالشعر الجاهلي" أصيل كامل الصياغة في تشبيهاتها وإستعاراته ومحسناته اللفظية وفي أغراضه وفنونه وواقعيته وغنائيته، فهومثال رائع في التركيب والأداء، وهويمثل كمال العمود الشعري العربي ونضجه"[1]

ولهذا فللشعر العربي الجاهلي قيمة فنية عالية.

وقد سعى شعراء الفرسان في قصائدهم، بالإعتماد على صور منتقاة من واقعهم الجاهلي وبيئتهم الصحراوية القاسية.

وقد أشار (إبن طباطبا) [2] إلى حقيقة مهمة في هذا الصدد حيث قال: (العرب صحونهم البوادي، وسقوفهم السماء، فليست تعدوأوصافهم مارأوه منها وفيها).

فإستعانوا بمظاهر الطبيعة الصامتة والمتحركة، كما اتخذوا من صور الأشياء المحسوسة والموجودات التي كانوا يستخدمونها أويتعاملون معها لتسهيل سبل حياتهم، تعنيهم لتحقيق هذه الغاية.

وتتميز صورهم بالواقعية وأول مظاهر هذه الواقعية" إتخاذهم الحياة بما فيها من خير وشر مادة لموضعاتهم، وبعدهم عن الإمعان في الخيال، وقد صوروا الشعراء الجاهلين في قصائدهم البيئة البدوية التي يعيشون فيها بكل مظاهرها: الصحراء القاسية بشعابها وجبالها وأغوارها، وصخورها ومياهها، وحرها وبردها، ولياليها المضلمة الرهيبة، وصوروا مظاهر الطبيعة المختلفة كما شاهدوها، وصوروا الحياة الواقعية التي يحيونها، من كرم والمروءة، من شجاعة وبطولة في الحروب، ومن القوة والمغامرة، والهرب

---

(1) تأريخ العرب الأدبي: 74.

(2) عيار الشعر: 10.

والفرار من غمار المعركة، ومن الفقر والجوع، وصوروا الشخصيات الإنسانية كما يرونها في الواقع المحسوس بكل ما بينها من تباين وإختلاف.

المظهر الثاني لهذه الواقعية صدق النقل عن الحياة، ومطابقة الصورة للأصل، بحيث لا يشعر الناظر في قصائد الفرسان بإختلاف بين الصورة الشعرية وأصلها في الحياة، أوبين ما يراه في شعرهم وما يشاهده في الحياة.

وكانوا يستمدون معاني قصائدهم من البيئة والمحيط والواقع الذي كان يعيش فيه، وواقعه كان يتمثل في محيط صحراوي وحياة بدوية، وأفق فكري ضيق، لا يسمح بالخروج عن هذا المحيط وما يدور خلف أسواره.

يقول النابغة الذبياني[1] يمدح عمروبن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر:-

إذا ما غزوا بالجيش، حلق فوقهم	عصائب طير، تهتدي بعصائب
يصاحبنهم، حتى يغرْنَ مغارهم	من الضاريات، بالدماء، الدوارب[2]
تراهن خلف القوم خزراً عيوبها،	جلوس الشيوخ في ثياب المرانب
على عارفات للطعان، عوابس،	بهن كلوم بين دامٍ وجالبِ
إذا أستنزلوا عنهن للطعن أرقلوا،	إلى الموت، إرقال الجمال المصاعب
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم،	بهن فلول من قراع الكتائب

ففي هذه الأبيات نرى بأن صوره مستمدة من الحياة الجاهلية، وصور واقعهم أصدق تصوير، وهوبسيط لا غلول فيه، وبعيدة عن المبالغة والتعقيد، والمعاني الشعرية واضحة وبسيطة تلائم الفطرة وتنسجم وطبيعة المجتمع البدوي، ولا شك أن البساطة والوضوح أثران من آثار البيئة وصفاء الذهن، فالشعر الجاهلي من حيث معانيه وأخيلته

---

(1) ديوان النابغة الذبياني: 14

(2) الفلول: جمع فل، وهوكل تكسر

ولغته، " يدل على رقي وصفاء ذهني وعناية فنية ومهارة في صناعة الشعر وصياغة معانيه وصوره"[1].

ولا شك إن إهتمام الشعراء بهذه الصور الواقعية يكشف عن دقة متناهية في تصوير جزئيات المشهد، ومتابعة عناصر الصورة لتأخذ شكلها الواضح.

يقول (طرفة بن العبد)[2] في معلقته:-

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة	على المرء من وقع الحسام المهند
فذرني وخلقي إنني لك شاكر	ولوحل بيتي نائياً عند ضرغد
فلوشاء ربي كنت قيس بن خالد	ولوشاء ربي كنت عمروبن مرثد
فأصبحت ذا مال كثير وزارني	بنون كرام سادة لمسود
أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه	حنشاش كرأس الحية المتوقد
فآليت لا ينفك كشحي بطانة	لعضب رقيق الشفرتين مهند
حسام إذا ما قمت متصراً به	كفى العود منه البدء ليس بمعضد
أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة	إذا قيل: مهلاً قال حاجزه: قدي
إذا إبتدر القوم السلاح وجدتني	منيعاً إذا بلت بقائمه يدي

ففي هذه الأبيات، نرى صور بديعة وتشبيهات موفقة وخيالٌ خصب ومادة الصور مأخوذة من واقع الحياة، يلون فيها طبيعة البادية والخيال محدودٌ لا إسراف فيه ولا غلو، وقريب من الحقيقة.

فالشعراء الفرسان كانوا يميلون إلى تصوير المعنويات والتعبير عنها مجسمة في ماديات محسوسة، فالشاعر هنا حاول أن يقرن بين ظلم قومه وبين وقع السيف.

---

(1) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: 83

(2) ديوان طرفة بن العبد: 36

إن واقعية قصائد الفروسية تظهر في أخذ الشاعر صوره من واقعه المحسوس، وجعلت الشعر وثيق الصلة بالطبيعة، وكانت من أهم مصادر الألهام عند الشاعر وتولدت عن الواقعية" خصائص فنية مهمة تمثلت في معاني هذا الشعر وأفكاره، وفي تصويره وخياله، إذ جاءت معانيه واضحة بسيطة ومحدودة أساسها الأمانة والصدق بينما كانت صوره وأخيلته تقريرية تستند إلى التشبيه الحسي، وأحياناً إلى الإستعارة والكناية"[1]

وكان الشاعر الفارس صادقاً وموفقاً كل التوفيق في نقله للواقع التي يعيش فيها، ونقلها نقلاً فنياً مصوراً للصامت منها وللحي حتى أبرزها لنا وهي متحركة في كل جزء من أجزائها، ملونة كل وجه من وجوهها.

يقول (تأبط شراً) [2]

جزى الله فتيانا على العوص أمطرت	سماؤهم تحت العماجة بالدم
وقد لاح ضوء الفجر عرضاً كأنه	بلمحته أقراب أبلق أدهم
فأن شفاء الداء إدراك لحلة	صياح على آثار حوم عرمرم
وضاربتهم بالسفح إذ عارضتهم	قبائل من أبناء بشروخثعم
ضرابا غدا منه إبن حاجز هاربا	ذرى الصخر في جدر الرجيل المريم

فالشعر الجاهلي كان تعبيراً مباشراً عن الحياة الجاهلية فكانوا " يستمدون صورهم ومعانيهم من بيئتهم بأساليب رائعة فيها جمال الفطرة وبساطة الصحراء، بعيدة عن المبالغة والغلووالتعقيد ولذلك جاءت معانيهم مفهومة مقبولة"[3] ومن مظاهر الواقعية لدى

(1) الشعر العربي قبل الإسلام (رسالة دكتوراه): 136.

(2) ديوان تأبط شراً: 71.

(3) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: 86.

شعراء الفرسان، هي ظاهرة تصوير الجوانب الدقيقة التي تكتمل الصورة، وتمنحها القدرة على التعبير، فها هو(أمرؤ القيس) [1] يصف فرسه:-

لـــه أيطـــلا ظـــبي وســـاقا نعامـــة وإرخـــاء ســـرحان وتقريـــب تتفـــل

فهوشبه خاصرتي هذا الفرس بخاصرتي الظبي في الظمر، وشبه ساقيه بساقي النعامة في الإنتظاب والطول، وعدوه بإرخاء الذئب، وتقريبه بتقريب ولد الثعلب، فجمع أربع تشبيهات في هذا البيت

ضـليع إذا أسـتدبرته سـد فرجـه بـضاف فويـق الأرض لـيس بـأعزل

الضليع: أي العظيم الأضلاع المنتفخ الجنبين، فهويقول هذا الفرس عظيم الأضلاع منتفخ الجنبين إذا نظرت إليه من خلفه رأيته قد سد الفضاء الذي بين رجليه بذبنه السابغ التام الذي قرب من الأرض وهوغير مائل إلى أحد الشقين، فسبوغ ذبنه من دلائل عتقه وكرمه.

كـأن علـى المتـنين منـه إذا أنتحـى مـداك عـروسٍ أوصـلاية حنظـلِ

فقد شبه إنملاس ظهره وإكتنازه باللحم بالحجر الذي تسحق العروس به أوعليه الطيب، أوبالحجر الذي يكسر عليه الحنظل ويستخرج حبه، وخص مداك العروس لحدثان عهدها بالسحق للطيب.

فكل شئ في حياة الجاهلي يرجع إلى الصحراء، طريقة تفكيره ونوع شعوره ونظام معيشته وحتى كرمه وشجاعته، فالصحراء هي التي جعل العربي شجاعاً متفانياً في الشجاعة وفخوراً بنفسه إلى أبعد غايات الفخر.

ويصف إمرؤ القيس[2] شجاعة وقوة ناقته برسم صورة مهلكة للصحاري التي يجتازها، يستمدها من تخرق الريح بها، في حركتها القوية التي لا يجدها شئ، فيقول:-

---

(1) ديوان أمرئ القيس: 58.

(2) ديوان إمرئ القيس: 78.

وخــرق بعيــدٍ قــد قطعــت نيــــاطه   علــى ذات لــوث ســهوة المــشي فرعــان

وخــرق كجــوف العــير قفــر قطعتــه   بــه الــذئب يعــوي كــالخليع المعيــــل

وكانوا موفقين في تصوير واقعهم وإبراز الحقائق التي راموا التعبير عنها، موضحين الإشكال التي أرتسمت في أذهـانهم، مـستمدين صـورهم مـن البيئـة الـتي يعيـشون فيهـا، فالناقة السريعة الخفيفة تشبه السحاب الذي أراق ماؤه، ويقول (الأخنس) في ذلك:-

تطـاير عـن أعجـاز حـوش كأنهـا   جهــــام أراق مــــاءه فهوآئـــــب

مع أن شعراء الفرسان كانوا واقعيين في كـثير مـن الأحـوال وكمـا ذكرنـاه سـابقاً، ولاكـن بـالغوا في مواضـع أخـرى فالـشاعر ينـصرف إلى وصـف البطـل الـذي يبـارزه ويسطوعليه، ويصف المعركة التي يخوض غمارها، ويلقي بنفسه في مهالكها، ويصف غبـار المعركة بالليل، ويصف الخيل بأنه عابسة الوجـه، كمـا نـرى ذلـك في قـصائد (عـنترة بـن شداد) [1]، فهويقول:-

سلي يا إبنة العبسي رمحـي وصـارمي   ومــا فعــلا في يــوم حــرب الأعاجــم

ســقيتها والخيــــل تعثــر بالقنـــا   دمــــاء العــــدى ممزوجـــة بـــالعلاقم

وفرقــت جيــشاً كــان في جـــنباته   دمــادم رعــد تحــت بــرق الــصــوارم

علــــى مهـــرة منـــسوبة عربيـــة   تطـــير إذا أشـــتد الـــوغى بالـــقوائـــم

وتــصهل خوفــا والرمــاح قواصـــد   إلـــــيها وتنـــسل أنـــسلال الأراقـــم

قحمت بهـا بحـر المنايـا فحمحمــت   وقــد غرقــت فـــي موجــه المــتلاطم

وكـم فـارس يـا عبلـة عـادرت ثاويـاً   يعـــض علـــى كفيــه عـــضة نـــادم

(1) ديوان عنترة بن شداد: 235.

تقلبه وحش الفلا وتنوشه   من الجوأسراب النسور القشاعم

أحب بني عبس ولوهدروا دمي   لأجلك يا بنت السراة الأكارم

وأحمل ثقل الضيم والضيم جائر   وأظهر أني ظالم وابن ظالم

فلا يخلوحديث شعراء الفرسان من تكثير وغلو، والتكثير والغلومن خصائص شعر الفرسان، فقد يجعلون من وقعة صغيرة، ملحمة كبرى، والعدد القليل يجر جيشاً كبيراً، ونفيراً من القتلى يعد بالمئات والألوف" على أن غلوهم لايأتي مستقبحاً وهووليد العاطفة المتحمسة تجعله قريباً إلى النفس، والفطرة الساذجة تمسه بجمالها الجذاب، يخالف الحقيقة ويصدق في شعوره الفني، يجري مع الطبع في نشوة الخاطر المتدفق، لا يهيئه العقل في يقظة الفكر المتكلف[(1)]"، ويقول (عنترة بن شداد):-

خلقت للحرب أحميها إذا بردت   وأصطلي بلظاها حيث أحترق

وألقي الطعن تحت النقع مبتسماً   والخيل عابسة قد بلها العرق

لوسابقتني المنايا وهي طالبة   قبض النفوس أتاني قبلها السبق

ولي جواد لدى الهيجاء ذوشغب   يسابق الطير حتى ليس يلتحق

ولي حسام إذا ما سل في رهج   يشق هام الأعادي حين يمتشق

أنا الهزبر إذا خيل العدى طلعت   يوم الوغى ودماء الشوس تندفق[2]

---

(1) الشعراء الفرسان: 13.

(2) ديوان عنترة بن شداد: 12

الخاتمة

يظل الشعر الجاهلي ثرياً، لا يمكن أنْ تحيط به دراسة، أو أنْ يُلِمّ بمعضلاته كتاب، ولقد أسهمت هذا البحث في إضاءة جوانب غامضة منه، ولاتزال جوانب أخرى في حاجةٍ إلى الدرس و التحليل، حيث أنَّ الشعر الجاهلي ينطوي على معضلات تعترض القاريء، إذ يلتقي بنصوص أدبية، فيها قدر من الصعوبة والغموض، وتشتمل على قدر من الخصائص الفنية والجمالية التي لها أهميتها وقيمتها، إنَّ بحثي يهتم بدراسة الشعر الجاهلي، بطريقة واضحة، بعيداً عن التعقيد، و يقدم قراءة للقاريء، ويسهل اموراً معينة للباحث في الأدب الجاهلي.

فالشعر الجاهلي يعتبر وثيقة تأريخية بما يخصّ أحوال الجزيرة وأحوال العرب الاجتماعية، فقد ورثنا عن تلك الحقبة الجاهلية أدباً ناضجاً في لغته وشعره ونثره.

وقد أظهر هذا البحث عددًا من النتائج الجديرة بالتسجيل، وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها، ما يلي:

أولاً: ان شاعر القبيلة هو لسانها الناطق وعقلها المفكر والمشير بالحق والناهي الى المنكر، فكيف اذا جمع له الشعر والفروسية فهو صورة صادقة لتلك الحياة البدوية، حيث كان يتدرب على ركوب الخيل، ويشهر سيفه، ويلوح برمحه.

ثانياً: إن القبائل في الجاهلية تعيش معيشة حربية، فهي كتائب تنزل للرعى، وفي الوقت نفسه تجهَّز بالأسلحة كى تدفع خصومها عن مراعيها، أو تغير عليهم وتسبى نساءهم وتنهب أموالهم من الإبل وغير الإبل.

ثالثاً: ارتبط مصطلح الفروسية بالعصر الجاهلي، لما كان لهذا العصر من طبيعة تحفزية، فالسيف دائما سبّاق إلى الكلام، والعربي لا يمل الحروب والمعارك، حتى سميت لكثرتها (بأيام العرب)، فكان للفروسية والفرسان عند العرب في الجاهلية المقام الأكبر والكلمة العليا بين العشائر كانوا يسجلون بطولاتهم بأشعارهم فتنتشر بين القبائل.

رابعاً: كان لكل قبيلة فارسها أو فرسانها الذين يتدربون على ركوب الخيل طويلا وكيف يقفزون عليها ويشهرون سيوفهم ويلوّحون برماحهم وكيف يسددون ضرباتهم إلى أعدائهم .

خامساً: كان للفروسية والفرسان عند العرب في الجاهلية المقام الأكبر والمكانة الأولى بينهم، وكان الدفاع عن الضعيف والانتصار للمرأة والشهامة وغيرها من الصفات التي يفخر بها فرسانهم.

سادساً: العرب كانوا منذ جاهليتهم فرساناً كماة تجري الفروسية في عروقهم، كما تجري الدماء في الجسم، وقد خلّد التاريخ سيَر عشرات من الفرسان، الذين تمثّلت فيهم صفات الفتوة والبسالة، المثيرة للفخر والإعجاب.

سابعاً: صور شعراء الفرسان مجموعة من المعاني، و الخصال الإنسانية التي تأصلت في أنفسهم، و تلازمهم أينما حلوا، وارتحلوا، و عرفوا بالشجاعة، والذكاء، والصبر، وقوة البأس، و عزة النفس، و إباء، و الشموخ، و النخوة، و سرعة العدو، و كانوا ذو أخلاق نبيلة، وطيبوا المعشر، و كريموا النفس، سمح في معاملتهم للناس، وفيّاً بالعهود، و يقومون بتلبية دعوة المستغيث، بيد أنهم ذو بأس شديد حين يتعدى عليهم، فوقتئذ يصبح الرد مشروعاً لديهم، وكل ذلك نستشفه من خلال قصائدهم، وفروسيتهم التي لا تقهر، وحياتهم التي يبذلها من أجل المعاني السامية.

ثامناً: إنّ أغلب شعراء الفرسان لم يستخدموا الألفاظ الصعبة على الفهم، أو الألفاظ الغريبة وكانوا يربطون بين القوة اللفظية و القوة الجسدية حتى يكتمل المعنى و يجذب السامعين، و كانوا يحاولون أن يستخدموا الألفاظ ذات الجرس المميز و يشددون على رنين الكلمات، و المعاني الشعرية جاءت واضحة و بسيطة، لأنها عالجت الحياة البعيدة عن الحضارة.

تاسعاً: تعتبرالفروسية، عماد المحافظة على حياة الإنسان العربي في البادية و بالشعر يذيع شجاعته و بطولته، فالفروسية و الشعر متلازمان بعضهما لبعض و لايمكن التفرق بينهما في العصر الجاهلي.

عاشراً: نرى بأنّ أغلب شعراء الفرسان يميلون إلى تصوير المعنويات و التعبير عنها مجسمة في ماديات محسوسة، و كان لغتهم الشعرية اتسمت بالترفع والسمو والشعور بالكرامة في الحياة.

و ختاماً نسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم إنه سميع مجيب، وهو حسبنا ونعم الوكيل، و الحمد لله رب العالمين، و الصلات و السلام على سيد المرسلين محمد و على آلِهِ و صحبهِ أجمعين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1- أساس البلاغة، للزمخشري(أبوالقاسم بن محمود بن عمر، ت538هـ)، تحقيق(عبد الرحيم محمود)، دار المعرفة(بيروت)، (د.ت).

2- الاصنام، هشام بن محمد السائب الكلبى(ت204هـ)، تحقيق(أحمد زكي)، المطبعة الاميرية(القاهرة)، 1914م.

3- الاصول الفنية للشعر الجاهلي، الدكتور.سعد اسماعيل شلبي، مكتبة غريب، 1977م.

4- الاشتقاق، لابي سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي (ت216هـ)، تحقيق(د.سليم النعيمي، مطبعة أسعد(بغداد)، 1968م.

5- الاصمعيات، للاصمعي(أبوسعيد عبد الملك بن قريب، ت216هـ)، تحقيق وشرح (أحمد محمد شاكر) و(عبد السلام محمد هارون)، دار المعارف(مصر)، الطبعة الرابعة.

6- الاغاني، للاصفهاني(أبوالفرج علي بن الحسين بن محمد الاموي، ت356هـ)، دار الفكر، الطبعة الاولى، 1986م.

7- ايمان العرب في الجاهلية، أبواسحاق ابراهيم بن عبد الله النجيرمي الكاتب، تحقيق(محب الدين الخطيب)، القاهرة، 1382هـ.

8- البخلاء، للجاحظ (أبوعثمان عمروبن عمرو، ت255هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر، 1980م.

9- البستاني، الشيخ عبدالله البستاني اللبناني، بيروت، مطبعة الامريكانية، 1927م.

10- البطل في التراث، د.نوري حمودي القيسي، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد)، 1982م.

11- بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب، الآلوسي(أبوالمعالي محمود شكري بن عبد الله، ت 1342هـ)، تحقيق (محمد بهجة الاثري)، المطبعة الرحمانية، مصر، الطبعة الثانية، 1925م.
12- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، للقرطبي(يوسف بن عبد الله بن محمد، ت463هـ)، تحقيق(محمد مرسي الخولي)، دار الكتب العلمية(بيروت)، (د.ت).
13- البيان والتبين، للجاحظ، تحقيق وشرح(عبد السلام محمد هارون)، مكتبة الخانجى، 1985م.
14- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (1205هـ)، تحقيق (علي هلال)، دار الهداية (الكويت)، 1966م.
15- تأريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، راجعها الدكتور. شوقي ضيف، ج1، دار الهلال، 1957م.
16- تأريخ الادب العربي، حنا الفاخوري، الطبعة السادسة، المكتبة البولسية (بيروت – لبنان).
17- تأريخ الادب العربي، د.عمر فروخ، ج1، دار العلم للملايين(بيروت)، الطبعة الرابعة، 1981م.
18- تأريخ الادب العربي، أحمد حسن الزيات، الطبعة الثامنة، دار المعرفة (بيروت – لبنان)، 2004م.
19- تأريخ الادب العربي قبل الاسلام، د.نوري حمودي القيسي ود.عادل جاسم البياتي ود.مصطفى عبد اللطيف، دار الحرية للطباعة (بغداد)، 1979م.
20- تأريخ الادب العربي (العصر الجاهلي)، د.شوقي ضيف، الجزء الاول، الطبعة الثامنة، دار المعارف (القاهرة)، 1977م.
21- تأريخ العرب الادبي في الجاهلية وصدر الاسلام، رينولد نكلسن، ترجمة وتحقيق (د.صفاء الخلوصي)، مطبعة المعارف(بغداد)، الطبعة الثالثة، 1969م.

22- تأريخ العرب قبل الاسلام، د.جواد علي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1960م.

23- تأريخ النقد الادبي عند العرب، طه أحمد أبراهيم، الطبعة الثانية، بيروت.

24- تأريخ النقائض في الشعر العربي، أحمد الشايب، مطبعة السعادة(مصر)، الطبعة الثانية، 1954م.

25- التذكرة الحمدونية، لابن حمدون، تحقيق (احسان عباس وبكر عباس)، دار صادر (بيروت)، 1966م.

26- تفسير الطبري(أبوجعفر محمد بن جرير، ت310هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، (د.ت).

27- تقاليد الفروسية عند العرب، واصف بطرس غالي، دار المعارف (القاهرة).

28- تهذيب اللغة، لابن منظور(أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت711هـ)تحقيق (عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف.

29- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والاسلام، للقرشي (أبوزيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، ت170 هـ، تحقيق.علي محمد البجاوي، دار النهضة (المصر).

30- الحيوان، للجاحظ، تحقيق (عبد السلام هارون)، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1965م.

31- الخيل في الشعر الجاهلي، د. حمود الدغيشي، دار الجرير، 2007م.

32- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار الفكر (بيروت).

33- دراسات في الشعر الجاهلي، نوري حمودي القيسي، دار الفكر(دمشق)، 1972م.

34- ديوان الاعشى(ميمون بن قيس)، تحقيق.محمد حسين، مكتبة الاداب (مصر)، (د.ت).

35- ديوان أمريء القيس، شرح.عبد الرحمن المصطلاوي، دار المعرفة (بيروت)، الطبعة الثالثة، 2006م.

36- ديوان أوس بن حجر، تحقيق(محمد يوسف نجم)، دار صادر (بيروت).

37- ديوان تأبط شرا، أعتنى به (عبد الرحمن المصطلاوي)، دار المعرفة (بيروت)، الطبعة الثانية، 2006م.
38- ديوان حاتم الطائي، شرح.عبد الرحمن المصطلاوي، دار المعرفة (بيروت)، 2005م.
39- ديوان الحماسة، أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت 231هـ)، تحقيق (د.عبد المنعم أحمد صالح، دار الرشيد للنشر، 1980م.
40- ديوان الحماسة، للمرزوقي (أبوعلي أحمد بن محمد بن الحسن، ت 421هـ)، تحقيق (احمد أمين وعبد السلام محمد هارون)، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة)، 1951م.
41- ديوان الحماسة، للبحتري (أبوعبادة الوليد بن عبيد، ت284هـ)، ضبطه وعلق حواشيه (كمال مصطفى)، المكتبة التجارية (القاهرة)، 1929م.
42- ديوان دريد بن الصمة، تحقيق(محمد خير البقاعي، دار القنيبة، (د.ت).
43- ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح.حمدوطماس، دار المعرفة (بيروت)، الطبعة الثانية، 2005م.
44- ديوان السموأل، تحقيق وشرح.د.واضح الصمد، دار الجيل (بيروت)، 1996م.
45- ديوان الشنفري، تحقيق(عبد العزيز الميمني)، مطبوعة في مجموعة الطرائف الادبية، 1947م.
46- ديوان عامر بن الطفيل، تحقيق(أنور أبوسويلم)، دار الجيل (بيروت)، 1996م.
47- ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق(د.محمد جبار المعيبد)، دار الجمهورية(بغداد)، 1965م.
48- ديوان العرب، العمادمصطفى طلاس، الطبعة الثالثة، دار الطلاس(ديمشق)، 1995م.
49- ديوان عمروبن معد يكرب الزبيدي، هاشم الطعان، مطبعة الجمهورية، 1970م.
50- ديوان عنترة بن شداد، شرح.د.يوسف عيد، دار الجيل (بيروت)، 2001م.

51- ديوان طرفة بن العبد، أعتنى به.عبد الرحمن المصطلاوي، دار المعرفة (بيروت)، الطبعة الثانية، 2006م.
52- ديوان طفيل الغنوي، تحقيق(محمد عبد القادر أحمد)، دار الكتاب الجديد، 1968م.
53- ديوان عروة بن الورد، شرح.د. سعدي ضناوي، دار الجيل (بيروت)، 1996م.
54- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق(احسان عباس)ن الطبعة الثانية، الكويت، 1984م.
55- ديوان النابغة الذبياني، شرح. حمدوطماس، دار المعرفة (بيروت)، الطبعة الثانية، 2005م.
56- ديوان الهذليين، مطبعة دار الكتب المصرية، 1945م.
57- سنن النسائي(أحمدبن علي، ت303هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
58- السيرة النبوية، أبومحمد عبد الملك بن هشام (218هـ)، تحقيق(مصطفى السقا وآخرين)، الطبعة الثانية، 1955م.
59- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د.يوسف خليف، مطبعة دار المعارف (مصر)، 1959م.
60- الشعراء الفرسان، بطرس البستاني، مطابع الاتحاد، 1944م.
61- شرح المعلقات السبع، للقاضي أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني (ت.486هـ)، تقديم. عبد الرحمن المصطلاوي، دار المعرفة (بيروت)، الطبعة الثالثة، 2006م.
62- شرح المعلقات العشر، صنعه.الشيخ أحمد بن الامين الشنقيطي (ت.1331هـ)، أعتنى به. عبد الحمن المصطلاوي، دار المعرفة (بيروت)، الطبعة الثانية، 2005م.
63- الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية، د.ابراهيم عبد الرحمن، مطابع مصر الجديدة، 1984م.
64- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د.يحيى الجبوري، دار التربية(بغداد).
65- الشعر الجاهلي حصاد قرن، د.عفيف عبد الرحمن، دار جرير، 2007م.

66- الشعر الجاهلي، د. محمد النويهي، دار القومية للطباعة والنشر (القاهرة).
67- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق وشرح.أحمد محمد شاكر، دار الحديث (القاهرة)، الطبعة الثالثة، 2001م.
68- صحيح البخاري(محمد بن اسماعيل، ت256هـ)، الطبعة الثانية، دار احياء التراث، بيروت، (د.ت).
69- صفة جزيرة العرب، لسان اليمن الحسن أحمد بن يعقوب الهمداني، تحقيق(محمد بن علي الاكوع الحوالي)، دار اليمامة(السعودية)، 1974م.
70- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، د.نصرت عبد الرحمن، الطبعة الثانية، مطابع التعاون(عمان)، 1982م.
71- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي (أبوعبد الله محمد بن سلام بن عبد الله، ت231هـ)، تحقيق. محمود محمود شاكر، دار المعارف (القاهرة)، 1974م.
72- الطبيعة في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي، دار الارشاد (بيروت)، الطبعة الاولى، 1970م.
73- العقد الفريد، الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي، (ت328هـ)، دار احياء التراث العربي (بيروت)، الطبعة الثالثة، 1999م.
74- علم المعاني، د.قصي سالم علوان، مطبعة جامعة البصرة، 1985م.
75- العين، لابي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ)، تحقيق(د.مهدي المخزومي ود.ابراهيم السامرائي)، دار الرشيد للنشر، 1982م.
76- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبوعلي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق. محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة (القاهرة)، الطبعة الثانية، 1955م.
77- العصبية القبلية واثرها في الشعر الاموي، د.احسان النص، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1973م.

78- عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي(أبوحسن محمد بن أحمد بن محمد، ت322هـ)، تحقيق.د.طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى(القاهرة)، 1965م.
79- الفروسية في الشعر الجاهلي، د.نوري حمودي القيسي، مطبعة دار التضامن (بغداد)، 1964م.
80- فقه اللغة، د.عبد الحسين مبارك، مطبعة جامعة البصرة، 1986م.
81- فن المديح وتطوره في الشعر العربي، ايليا حاوي، منشورات الشرق الجديد، بيروت، (د.ت).
82- في النقد الادبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف (القاهرة)، الطبعة الثانية، 1966م.
83- قاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الفكر (بيروت).
84- الكامل في اللغة والادب، للمبرد(أبوالعباس محمد بن يزيد، ت285هـ)، تحقيق(محمد ابوالفضل والسيد شحاته)، مطبعة دار النهضة(مصر)، (د.ت).
85- لسان العرب، لابن منظور(أبوالفضيل جمال الدين محمد بن مكرم، ت711هـ)، تحقيق.عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف(القاهرة)، (د.ت).
86- لامية العرب (الشنفري)، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت)، 1974م.
87- لمحات من البطولة العربية في شعر العرب، غانم جواد رضا، دار الحرية للطباعة (بغداد)، سلسلة الموسوعة الصغيرة، 1981م.
88- موجز جغرافية الوطن العربي، فاضل الخباز، مطبعة البرهان (بغداد)، 1962م.
89- معجم البلدان، لياقوت الحموي، تحقيق. فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية (بيروت).
90- مسند الامام أحمد بن حنبل، الامام أحمد بن حنبل الشياني(ت241هـ)، دار صادر(بيروت)، طبعة مصورة عن الطبعة الميمنية، 1313هـ.
91- المعاني الكبير، لابن القتيبة(ت276هـ)، حيدر آباد الدكن، 1949م.

92- مقالات في الشعر الجاهلي، د. يوسف اليوسف، الطبعة الثالثة، 1983م.
93- من تأريخ الادب العربي (العصر الجاهلي والعصر الاسلامي)، د.طه حسين، المجلد الاول، دار العلم للملايين (بيروت)، 1970م.
94- مقدمة ابن خلدون، دار ومكتبة الهلال (بيروت)، 2000م.
95- مصادر الشعر الجاهلي، د.ناصر الدين الاسد، دار الجيل(بيروت)، تاطبعة الثامنة، 1996م.
96- المفضليات، للمفضل الضبي، تحقيق وشرح (أحمد محمد شاكر) و(عبد السلام محمد هارون)، الطبعة الرابعة، دار المعارف (المصر).
97- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق(د.محمد عبد المنعم خفاجي)، دار الكتب العلمية(بيروت)، (د.ت).
98- النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، دار نهضة (مصر).
99- الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية، عباس بيومي عجلان، مؤسسة شباب الجامعة، 1985م.
100- وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي، حياة جاسم، دار الحرية للطباعة (بغداد)، مطبعة الجمهورية، 1972م.

الاطروحات

1- البطولة في الشعر العربي قبل الاسلام، رسالة ماجستير، مؤيد محمد صالح اليوزبكي، جامعة الموصل، 1984م.
2- الشعر العربي قبل الاسلام بين الانتماء القبلي والحس القومي، رسالة دكتوراه، مصعب حسون الراوي، جامعة بغداد، 1988م.
3- القصيدة العربية قبل الاسلام، رسالة دكتوراه، عبد الحسن حسن خلف، جامعة بغداد، 1990م.
4- القيم الخلقية والاجتماعية في الشعر العربي قبل الاسلام، رسالة ماجستير، عبد الحسين حداد كنيرمل، جامعة بغداد، 1981م.





دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
تلفاكس : 5353402 6 962+
ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
www.darghaidaa.com

مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
خلــــوي : 95667143 7 962+
E-mail: darghidaa@gmail.com
E-mail: info@darghaidaa.com